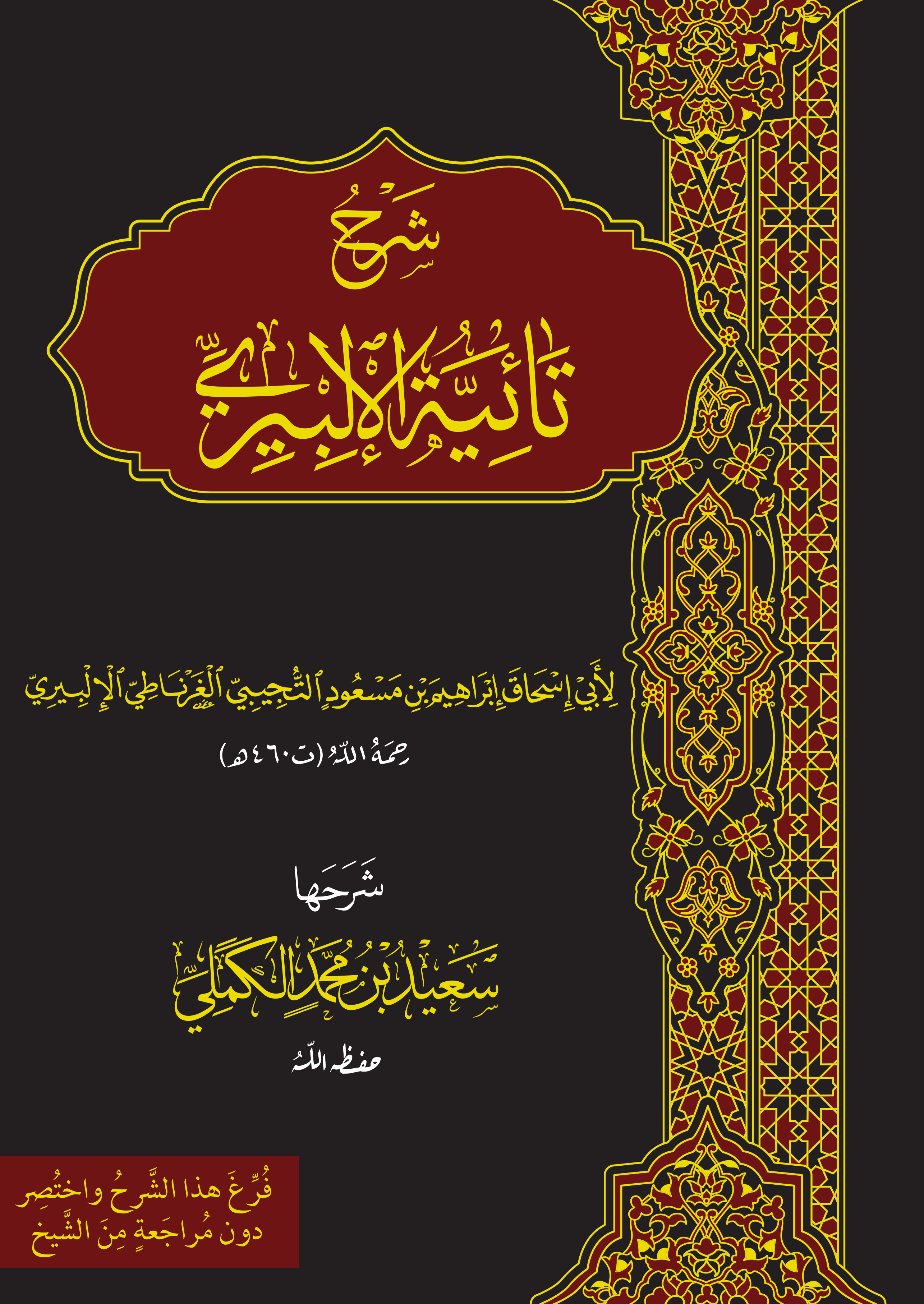
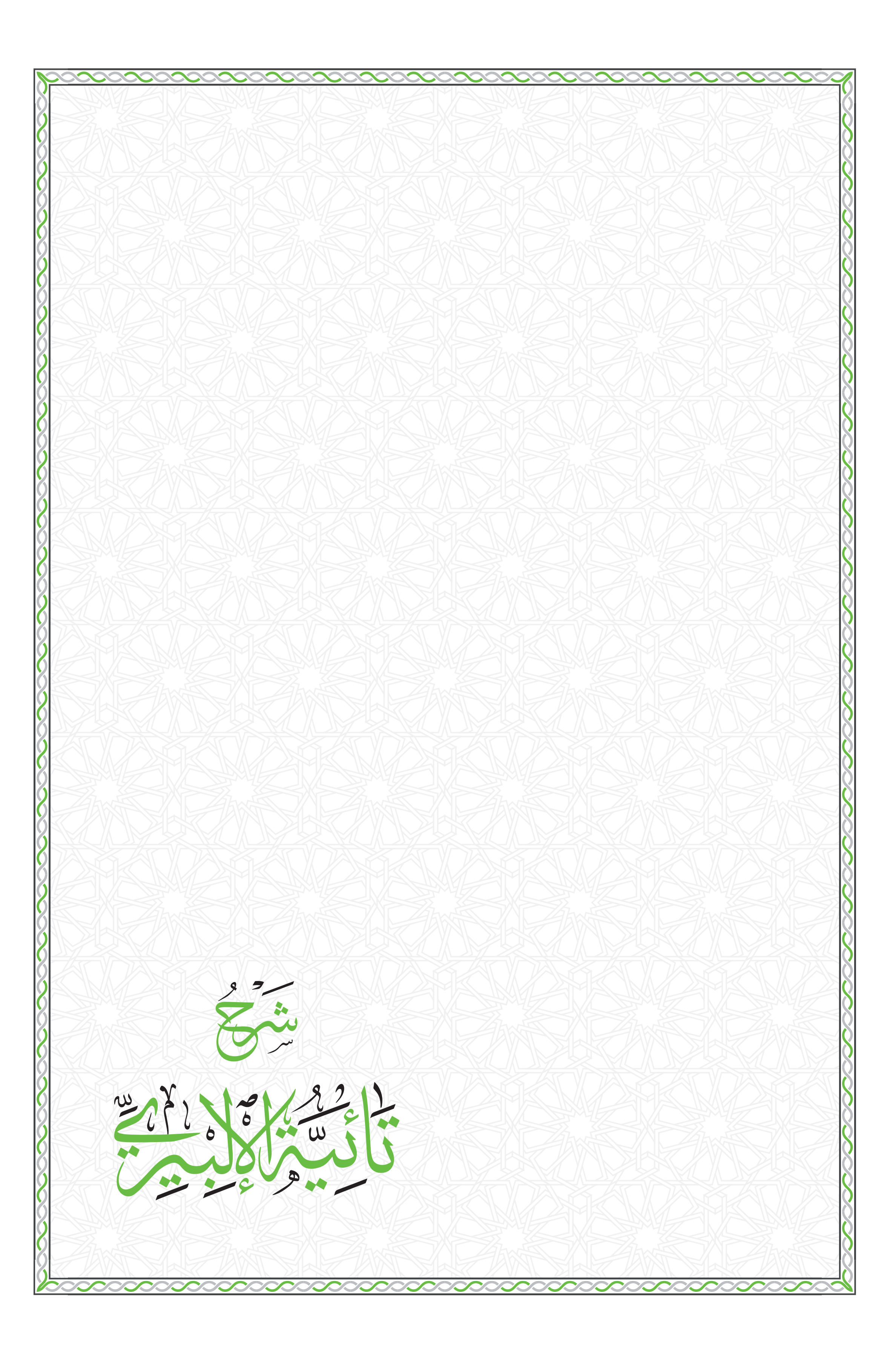
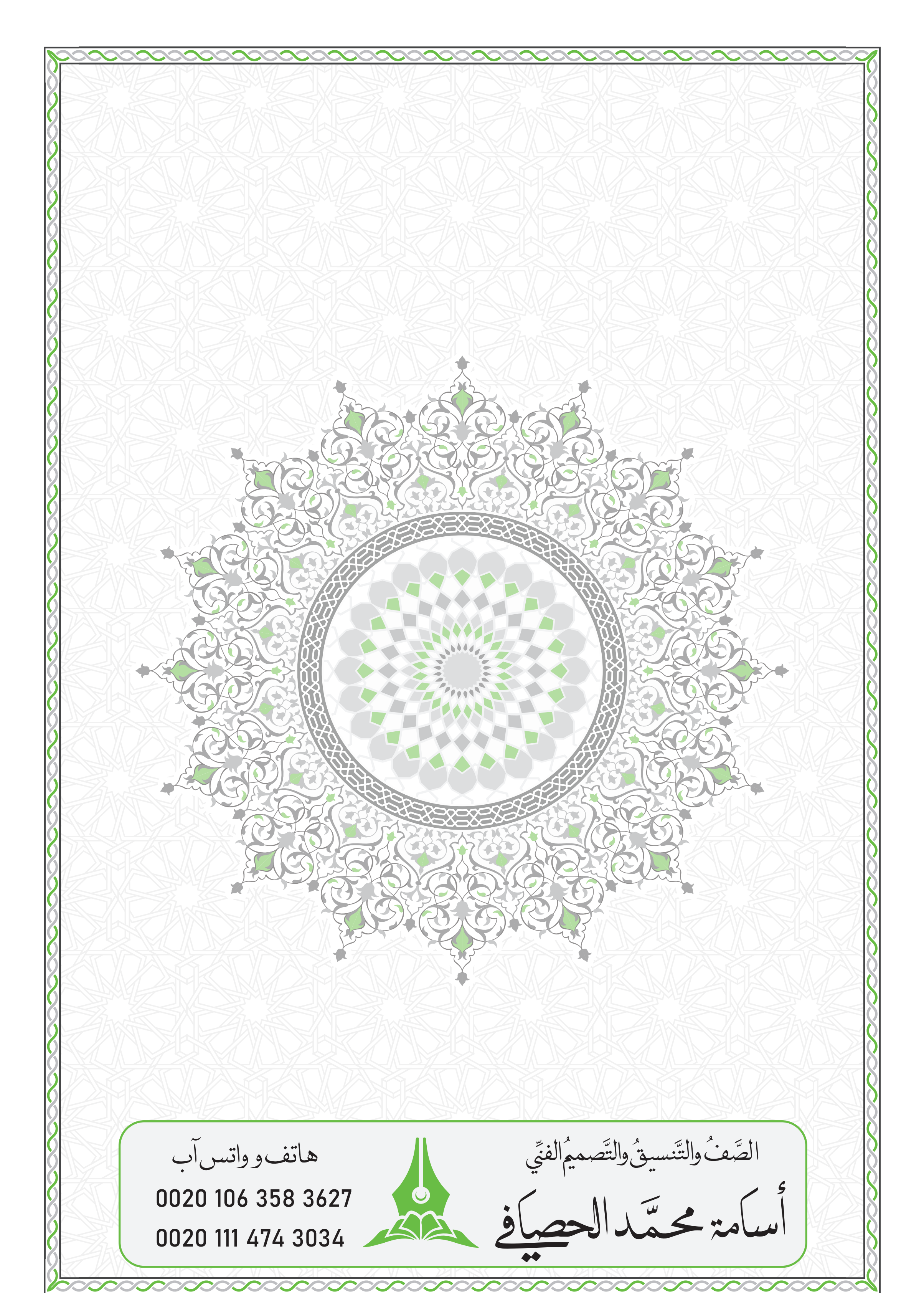

شَرحُ
تائِيَّةِ الإِلبيري
لِأَبي إِسحاقَ إِبراهيمَ بنِ مَسعودٍ التُّجيبيِّ الغِرناطيِّ الإِلبيري
رحمهُ اللهُ (ت ٤٦٠هـ)
شَرَحَها
سَعيدُ بنُ مُحمَّدٍ الكَمَلي
حفظه الله
فُرِّغَ هذا الشَّرحُ واختُصِر
دون مُراجَعةٍ مِنَ الشَّيخ


شرح
تائية الإلبيري



الصَّفُ والتَّنسيقُ والتَّصميمُ الفنِّي
أسامة محمَّد الحصيافي
هاتف و واتس آب
0020 106 358 3627
0020 111 474 3034



لأبي إسحاق إبراهيم بن مسعود التجيبي الغرناطي الإلبيري

رحمه الله (ت ٤٦٠هـ)

شرحها

سعيد بن محمد الكملي

حفظه الله



الصَّفُ والتَّنسيقُ والتَّصميمُ الفنِّي

أُسامة محمَّد الحصيافي



هاتف و واتس آب

0020 106 358 3627

0020 111 474 3034

مَنظُومَةُ أَبِي إِسْحَاقَ ٱلْإِلْبِيرِيّ

تَفُتُّ فُؤَادَكَ الأَيَّامُ فَتَّا ... وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتَا
وَتَدْعُوكَ المَنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ ... أَلَا يَا صَاحِ أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا
أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ غَدْرٍ ... أَبَتَّ طَلَاقَهَا الأَكْيَاسُ بَتَّا
تَنَامُ الدَّهْرَ وَيْحَكَ فِي غَطِيطٍ ... بِهَا حَتَّى إِذَا مِتَّ انْتَبَهْتَا
فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ وَحَتَّى ... مَتَى لَا تَرْعَوِي عَنْهَا وَحَتَّى
«أَبَا بَكْرٍ» دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا ... إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ إِنْ عَقَلْتَا
إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا ... مُطَاعًا إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَا
وَيَجْلُو مَا بِعَيْنِكَ مِنْ غَشَاهَا ... وَيَهْدِيكَ السَّبِيلَ إِذَا ضَلَلْتَا
وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا ... وَيَكْسُوكَ الجَمَالَ إِذَا اغْتَرَبْتَا
يَنَالُكَ نَفْعُهُ مَا دُمْتَ حَيًّا ... وَيَبْقَى ذُخْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا
هُوَ العَضْبُ المُهَنَّدُ لَيْسَ يَنْبُو ... تُصِيبُ بِهِ مَقَاتِلَ مَنْ ضَرَبْتَا
وَكَنْزٌ لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لِصًّا ... خَفِيفُ الحَمْلِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنْتَا
يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الإِنْفَاقِ مِنْهُ ... وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدْتَا
فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حَلْوَاهُ طَعْمًا ... لَآثَرْتَ التَّعَلُّمَ وَاجْتَهَدْتَا
وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنْهُ هَوًى مُطَاعٌ ... وَلَا دُنْيَا بِزُخْرُفِهَا فُتِنْتَا
وَلَا أَلْهَاكَ عَنْهُ أَنِيقُ رَوْضٍ ... وَلَا خِدْرٌ بِرَبْرَبِهِ كَلِفْتَا

فَقُوتُ الرُّوحِ أَرْوَاحُ المَعَانِي ... وَلَيْسَ بِأَنْ طَعِمْتَ وَأَنْ شَرِبْتَا
فَوَاظِبْهُ وَخُذْ بِالجِدِّ فِيهِ ... فَإِنْ أَعْطَاكَهُ اللهُ أَخَذْتَا
وَإِنْ أُوتِيتَ فِيهِ طُولَ بَاعٍ ... وَقَالَ النَّاسُ إِنَّكَ قَدْ سَبَقْتَا
فَلَا تَأْمَنْ سُؤَالَ اللهِ عَنْهُ ... بِتَوْبِيخٍ عَلِمْتَ فَهَلْ عَمِلْتَا
فَرَأْسُ العِلْمِ تَقْوَى اللهِ حَقًّا ... وَلَيْسَ بِأَنْ يُقَالَ لَقَدْ رَأَسْتَا
وَضَافِي ثَوْبِكَ الإِحْسَانُ لَا أَنْ ... تُرَى ثَوْبَ الإِسَاءَةِ قَدْ لَبِسْتَا
إِذَا مَا لَمْ يُفِدْكَ العِلْمُ خَيْرًا ... فَخَيْرٌ مِنْهُ أَنْ لَوْ قَدْ جَهِلْتَا
وَإِنْ أَلْقَاكَ فَهْمُكَ فِي مَهَاوٍ ... فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهِمْتَا
سَتَجْنِي مِنْ ثِمَارِ العَجْزِ جَهْلًا ... وَتَصْغُرُ فِي العُيُونِ وَإِنْ كَبُرْتَا
وَتُفْقَدُ إِنْ جَهِلْتَ وَأَنْتَ بَاقٍ ... وَتُوجَدُ إِنْ عَلِمْتَ وَإِنْ فُقِدْتَا
وَتَذْكُرُ قَوْلَتِي لَكَ بَعْدَ حِينٍ ... وَتَغْبِطُهَا إِذَا عَنْهَا شُغِلْتَا
لَسَوْفَ تَعَضُّ مِنْ نَدَمٍ عَلَيْهَا ... وَمَا تُغْنِي النَّدَامَةُ إِنْ نَدِمْتَا
إِذَا أَبْصَرْتَ صَحْبَكَ فِي سَمَاءٍ ... قَدِ ارْتَفَعُوا عَلَيْكَ وَقَدْ سَفُلْتَا
فَرَاجِعْهَا وَدَعْ عَنْكَ الهُوَيْنَى ... فَمَا بِالبُطْءِ تُدْرِكُ مَا طَلَبْتَا
وَلَا تَحْفِلْ بِمَالِكَ وَالْهُ عَنْهُ ... فَلَيْسَ المَالُ إِلَّا مَا عَلِمْتَا
وَلَيْسَ لِجَاهِلٍ فِي النَّاسِ مَعْنًى ... وَلَوْ مُلْكُ العِرَاقِ لَهُ تَأَتَّى
سَيَنْطِقُ عَنْكَ عِلْمُكَ فِي نَدِيٍّ ... وَيُكْتَبُ عَنْكَ يَوْمًا إِنْ كَتَبْتَا
وَمَا يُغْنِيكَ تَشْيِيدُ المَبَانِي ... إِذَا بِالجَهْلِ نَفْسَكَ قَدْ هَدَمْتَا
جَعَلْتَ المَالَ فَوْقَ العِلْمِ جَهْلًا ... لَعَمْرُكَ فِي القَضِيَّةِ مَا عَدَلْتَا

وَبيْنَهُمَـــا بِـــنَصِّ الـــوَحْيِ بَـــوْنٌ سَــــتَعْلَمُهُ إِذَا «طَـــــهَ» قَرَأْتَـــــا
لَـــئِنْ رَفَـــعَ الغَـــنِيُّ لِـــوَاءَ مَـــالٍ لَأَنْـــتَ لِـــوَاءَ عِلْمِـــكَ قَـــدْ رَفَعْتَـــا
وَإِنْ جَلَـــسَ الغَـــنِيُّ عَلَى الحَشَـــايَا لَأَنْـــتَ عَلَى الكَوَاكِـــبِ قَـــدْ جَلَسْـــتَا
وَإِنْ رَكِـــبَ الجِيَـــادَ مُسَـــوَّمَاتٍ لَأَنْـــتَ مَنَـــاهِجَ التَّقْـــوَى رَكِبْتَـــا
وَمَهْمَـــا افْـــتَضَّ أَبْكَـــارَ الغَـــوَانِي فَكَمْ بِكْـــرٍ مِـــنَ الحِكَمِ افْتَضَضْتَا
وَلَـــيْسَ يَضُرُّـــكَ الإِقْتَـــارُ شَـــيْئًا إِذَا مَـــا أَنْـــتَ رَبَّـــكَ قَـــدْ عَرَفْتَـــا
فَمَـــاذَا عِنْـــدَهُ لَـــكَ مِـــنْ جَمِيـــلٍ إِذَا بِفِنَـــــاءِ طَاعَتِـــــهِ أَنَخْتَـــــا
فَقَابِـــلْ بِـــالقَبُولِ صَـــحِيحَ نُصْـــحِي فَإِنْ أَعْرَضْـــتَ عَنْـــهُ فَقَـــدْ خَسِرْتَـــا
وَإِنْ رَاعَيْتَـــــهُ قَـــــوْلًا وَفِعْـــــلًا وَتَـــــاجَرْتَ الإِلَهَ بِـــــهِ رَبِحْتَـــــا
فَلَيْسَـــتْ هَـــذِهِ الدُّنْيَـــا بِشَـــيْءٍ تَسُـــــوؤُكَ حِقْبَـــــةً وَتَسُـــــرُّ وَقْتَـــا
وَغَايَتُهَـــــا إِذَا فَكَّـــــرْتَ فِيهَـــــا كَفَيْئِـــكَ أَوْ كَحُلْمِـــكَ إِنْ حَلَمْتَـــا
سُـــجِنْتَ بِهَـــا وَأَنْـــتَ لَهَـــا مُحِـــبٌّ فَكَيْـــفَ تُحِـــبُّ مَـــا فِيـــهِ سُـــجِنْتَا
وَتُطْعِمُـــكَ الطَّعَـــامَ وَعَـــنْ قَرِيـــبٍ سَـــتَطْعَمُ مِنْـــكَ مَـــا مِنْهَـــا طَعِمْتَـــا
وَتَعْـــرَى إِنْ لَبِسْـــتَ لَهَـــا ثِيَابًـــا وَتُكْسَـــــى إِنْ مَلَابِسَـــــهَا خَلَعْتَـــــا
وَتَشْـــــهَدُ كُلَّ يَـــــوْمٍ دَفْـــــنَ خِـــــلٍّ كَأَنَّـــــكَ لَا تُـــــرَادُ بِمَـــــا شَـــــهِدْتَا
وَلَـــمْ تُخْلَـــقْ لِتَعْمُرَهَـــا وَلَكِـــنْ لِتَعْبُرَهَـــــا فَجِـــــدَّ لِمَـــــا خُلِقْتَـــــا
وَإِنْ هُـــدِمَتْ فَزِدْهَـــا أَنْـــتَ هَـــدْمًا وَحَصِّـــنْ أَمْـــرَ دِينِـــكَ مَـــا اسْـــتَطَعْتَا
وَلَا تَحْـــزَنْ عَلَى مَـــا فَـــاتَ مِنْهَـــا إِذَا مَـــا أَنْـــتَ فِي أُخْـــرَاكَ فُزْتَـــا
فَلَـــيْسَ بِنَـــافِعٍ مَـــا نِلْـــتَ مِنْهَـــا مِـــنَ الفَـــانِي إِذَا البَـــاقِي حُرِمْتَـــا

وَلَا تَضْـحَكْ مَـعَ السُّـفَهَاءِ لَهْـوًا ... فَإِنَّـكَ سَـوْفَ تَـبْكِي إِنْ ضَـحِكْتَا
وَكَيْـفَ لَـكَ السُّـرُورُ وَأَنْـتَ رَهْـنٌ ... وَلَا تَـدْرِي أَتُفْـدَى أَمْ غَلِقْتَـا
وَسَـلْ مِـنْ رَبِّـكَ التَّوْفِيـقَ فِيهَـا ... وَأَخْلِـصْ فِي السُّـؤَالِ إِذَا سَـأَلْتَا
وَنَـادِ إِذَا سَـجَدْتَ لَهُ اعْتِرَافًـا ... بِمَـا نَـادَاهُ ذُو النُّـونِ ابْـنُ مَـتَّى
وَلَازِمْ بَابَـهُ قَـرْعًا عَسَـاهُ ... سَـيَفْتَحُ بَابَـهُ لَـكَ إِنْ قَرَعْتَـا
وَأَكْـثِرْ ذِكْـرَهُ فِي الْأَرْضِ دَأْبًـا ... لِتُـذْكَرَ فِي السَّـمَاءِ إِذَا ذَكَرْتَـا
وَلَا تَقُـلِ الصِّـبَا فِيـهِ مَجَـالٌ ... وَفَكِّـرْ كَـمْ صَـغِيرٍ قَـدْ دَفَنْتَـا
وَقُـلْ لِي يَـا نَصِـيحُ لَأَنْـتَ أَوْلَى ... بِنُصْـحِكَ لَـوْ بِعَقْلِـكَ قَـدْ نَظَرْتَـا
تُقَطِّعُـنِي عَلَى التَّفْـرِيطِ لَوْمًـا ... وَبِـالتَّفْرِيطِ دَهْـرَكَ قَـدْ قَطَعْتَـا
وَفِي صِـغَرِي تُخَـوِّفُنِي الْمَنَايَـا ... وَمَـا تَجْـرِي بِبَالِـكَ حِـينَ شِـخْتَا
وَكُنْـتَ مَـعَ الصِّـبَا أَهْـدَى سَـبِيلًا ... فَمَا لَـكَ بَعْـدَ شَـيْبِكَ قَـدْ نُكِسْـتَا
وَهَـا أَنَـا لَـمْ أَخُـضْ بَحْـرَ الْخَطَايَا ... كَمَـا قَـدْ خُضْـتَهُ حَـتَّى غَرِقْتَـا
وَلَـمْ أَشْرَبْ حُمَيَّـا أُمِّ دَفْـرٍ ... وَأَنْـتَ شَرِبْتَهَـا حَـتَّى سَـكِرْتَا
وَلَـمْ أَحْلُـلْ بِـوَادٍ فِيـهِ ظُلْـمٌ ... وَأَنْـتَ حَلَلْـتَ فِيـهِ وَانْهَمَكْتَـا
وَلَـمْ أَنْشَـأْ بِعَصْـرٍ فِيـهِ نَفْـعٌ ... وَأَنْـتَ نَشَـأْتَ فِيـهِ وَمَـا انْتَفَعْتَـا
وَقَـدْ صَـاحَبْتَ أَعْلَامًـا كِبَـارًا ... وَلَـمْ أَرَكَ اقْتَـدَيْتَ بِمَـنْ صَـحِبْتَا
وَنَـادَاكَ الْكِتَـابُ فَلَـمْ تُجِبْـهُ ... وَنَهْنَهَـكَ الْمَشِـيبُ فَمَـا انْتَبَهْتَـا
لَيَقْـبُحُ بِـالْفَتَى فِعْـلُ التَّصَـابِي ... وَأَقْـبَحُ مِنْـهُ شَـيْخٌ قَـدْ تَفَـتَّى
فَأَنْـتَ أَحَـقُّ بِالتَّفْنِيـدِ مِـنِّي ... وَلَـوْ سَكَـتَ الْمُسِـيءُ لَمَـا نَطَقْتَـا

وَنَفْسَــــكَ ذُمَّ لَا تَـــذْمُمْ سِـــوَاهَا   بِعَيْـبٍ فَـهْيَ أَجْـدَرُ مَـنْ ذَمَمْتَـا
فَلَـوْ بَكَـتِ الدِّمَـا عَيْنَـاكَ خَوْفًـا   لِذَنْبِـكَ لَـمْ أَقُـلْ لَـكَ قَـدْ أَمِنْتَـا
وَمَـنْ لَـكَ بِالأَمَـانِ وَأَنْـتَ عَبْـدٌ   أُمِـرْتَ فَمَـا ائْتَمَـرْتَ وَلَا أَطَعْتَـا
ثَقُلْتَ مِـنَ الذُّنُوبِ وَلَسْتَ تَخْشَى   لِجَهْلِـــكَ أَنْ تَخِـــفَّ إِذَا وُزِنْتَــا
وَتُشْـــفِقُ لِلْمُصِــرِّ عَلَى المَعَــاصِي   وَتَرْحَمُـــهُ وَنَفْسَـــكَ مَـــا رَحِمْتَــا
رَجَعْتَ القَهْقَرَى وَخَبَطْتَ عَشْـوَا   لَعَمْـرُكَ لَـوْ وَصَـلْتَ لَمَـا رَجَعْتَـا
وَلَـــوْ وَافَيْــتَ رَبَّــكَ دُونَ ذَنْــبٍ   وَنَاقَشَـــكَ الحِسَـــابَ إِذًا هَلَكْتَــا
وَلَـمْ يَظْلِمْــكَ فِي عَمَـلٍ وَلَكِـنْ   عَسِـــيرٌ أَنْ تَقُـــومَ بِمَـــا حَمَلْتَــا
وَلَـوْ قَـدْ جِئْـتَ يَـوْمَ الفَصْـلِ فَـرْدًا   وَأَبْصَـــرْتَ المَنَـــازِلَ فِيـــهِ شَـــتَّى
لَأَعْظَمْـــتَ النَّدَامَـــةَ فِيـــهِ لَهْفًـــا   عَلَى مَـــا فِي حَيَاتِـــكَ قَـــدْ أَضَـــعْتَا
تَفِـــرُّ مِـــنَ الهَجِـــيرِ وَتَتَّقِيـــهِ   فَهَـــلَّا عَـــنْ جَهَـــنَّمَ قَـــدْ فَرَرْتَــا
وَلَسْـــتَ تُطِيـــقُ أَهْوَنَهَـــا عَـــذَابًا   وَلَـــوْ كُنْـــتَ الحَدِيـــدَ بِهَـــا لَذُبْتَــا
فَـــلَا تَكْـــذِبْ فَـــإِنَّ الأَمْـــرَ جِـــدٌّ   وَلَـــيْسَ كَمَـــا حَسِـــبْتَ وَلَا ظَنَنْتَــا
«أَبَـا بَكْـرٍ» كَشَـفْتَ أَقَـلَّ عَيْـبِي   وَأَكْـــثَرُهُ وَمُعْظَمُـــهُ سَـــتَرْتَا
فَقُـلْ مَـا شِـئْتَ فِيَّ مِـنَ المَخَـازِي   وَضَـــاعِفْهَا فَإِنَّـــكَ قَـــدْ صَـــدَقْتَا
وَمَهْمَـــا عِبْتَـــنِي فَلِفَـــرْطِ عِلْـــمِي   بِبَـــاطِنَتِي كَأَنَّـــكَ قَـــدْ مَـــدَحْتَا
فَـــلَا تَـــرْضَ المَعَايِـــبَ فَـــهْيَ عَارٌ   عَظِـــيمٌ يُـــورِثُ الإِنْسَـــانَ مَقْتَــا
وَتَهْـــوِي بِالوَجِيـــهِ مِـــنَ الثُّرَيَّـــا   وَتُبْـــدِلُهُ مَـــكَانَ الفَـــوْقِ تَحْتَــا
كَمَـــا الطَّـــاعَاتُ تَنْعَلُـــكَ الدَّرَارِي   وَتَجْعَلُـــكَ القَرِيـــبَ وَإِنْ بَعُـــدْتَا

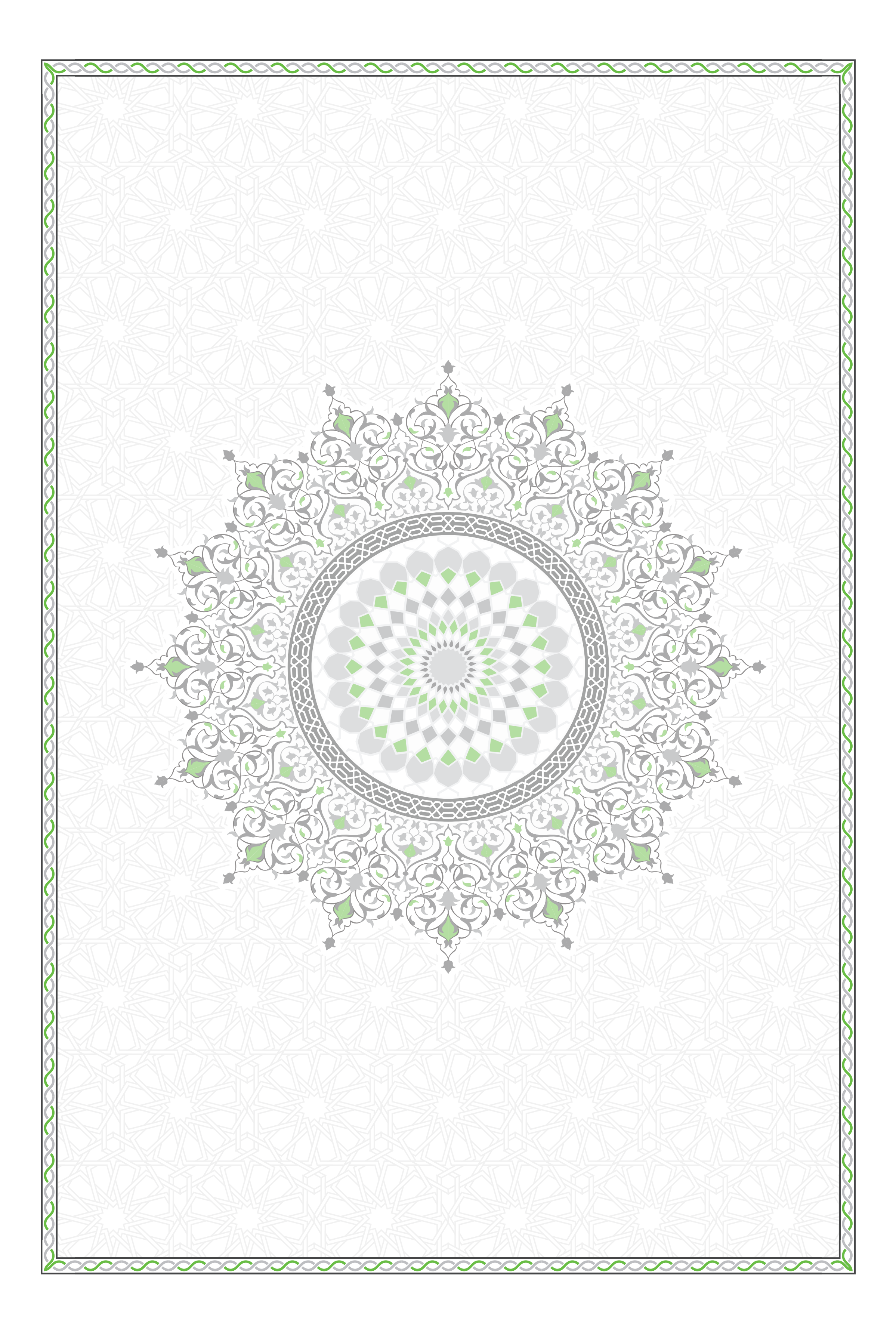
وَتَنْشُرُ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا جَمِيلًا فَتَلْقَى الْبِرَّ فِيهَا حَيْثُ كُنْتَا
وَتَمْشِي فِي مَنَاكِبِهَا كَرِيمًا وَتَجْنِي الْحَمْدَ مِمَّا قَدْ غَرَسْتَا
وَأَنْتَ الْآنَ لَمْ تُعْرَفْ بِعَابٍ وَلَا دَنَّسْتَ ثَوْبَكَ مُذْ نَشَأْتَا
وَلَا سَابَقْتَ فِي مَيْدَانِ زُورٍ وَلَا أَوْضَعْتَ فِيهِ وَلَا خَبَبْتَا
فَإِنْ لَمْ تَنْأَ عَنْهُ نَشِبْتَ فِيهِ وَمَنْ لَكَ بِالْخَلَاصِ إِذَا نَشِبْتَا
وَدَنَّسَ مَا تَطَهَّرَ مِنْكَ حَتَّى كَأَنَّكَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا طَهُرْتَا
وَصِرْتَ أَسِيرَ ذَنْبِكَ فِي وَثَاقٍ وَكَيْفَ لَكَ الْفَكَاكُ وَقَدْ أُسِرْتَا
وَخَفْ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ وَاخْشَ مِنْهُمْ كَمَا تَخْشَى الضَّرَاغِمَ وَالسَّبَنْتَى
وَخَالِطْهُمْ وَزَايِلْهُمْ حِذَارًا وَكُنْ كَـ«السَّامِرِيِّ» إِذَا لُمِسْتَا
وَإِنْ جَهِلُوا عَلَيْكَ فَقُلْ سَلَامًا لَعَلَّكَ سَوْفَ تَسْلَمُ إِنْ فَعَلْتَا
وَمَنْ لَكَ بِالسَّلَامَةِ فِي زَمَانٍ يَنَالُ الْعُصْمَ إِلَّا إِنْ عُصِمْتَا
وَلَا تَلْبَثْ بِحَيٍّ فِيهِ ضَيْمٌ يُمِيتُ الْقَلْبَ إِلَّا إِنْ كُبِلْتَا
وَغَرِّبْ فَالْغَرِيبُ لَهُ نَفَاقٌ وَشَرِّقْ إِنْ بِرِيقِكَ قَدْ شَرِقْتَا
فَلَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا خُمُولًا لَأَنْتَ بِهَا الْأَمِيرُ إِذَا زَهِدْتَا
وَلَوْ فَوْقَ الْأَمِيرِ تَكُونُ فِيهَا سُمُوًّا وَافْتِخَارًا كُنْتَ أَنْتَا
وَإِنْ فَرَّقْتَهَا وَخَرَجْتَ مِنْهَا إِلَى دَارِ السَّلَامِ فَقَدْ سَلِمْتَا
وَإِنْ كَرَّمْتَهَا وَنَظَرْتَ فِيهَا بِإِجْلَالٍ فَنَفْسَكَ قَدْ أَهَنْتَا
جَمَعْتُ لَكَ النَّصَايِحَ فَامْتَثِلْهَا حَيَاتَكَ فَهِيَ أَفْضَلُ مَا امْتَثَلْتَا
وَطَوَّلْتُ الْعِتَابَ وَزِدْتُ فِيهِ لِأَنَّكَ فِي الْبَطَالَةِ قَدْ أَطَلْتَا

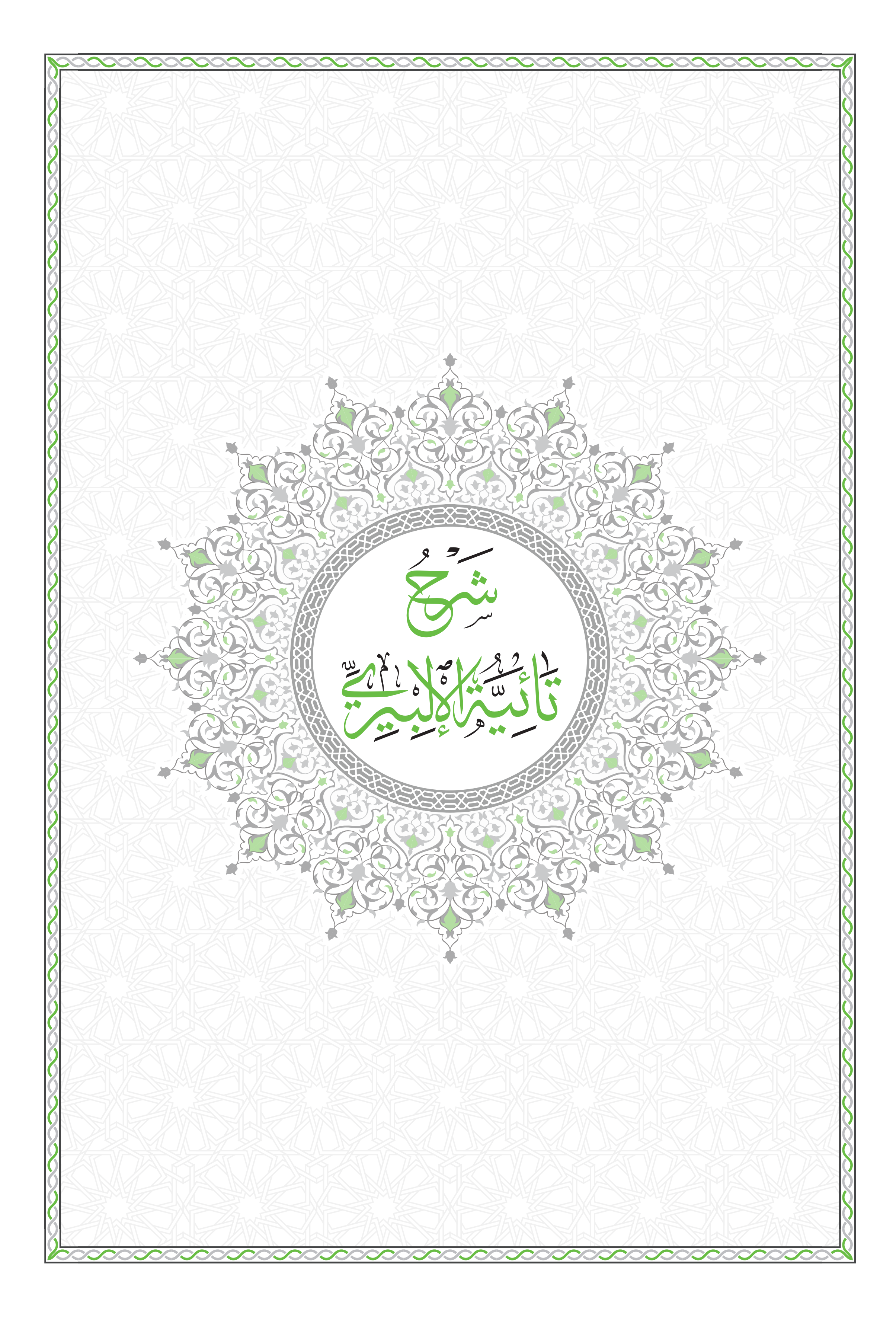
فَـلَا تَأْخُـذْ بِتَقْصِـيرِي وَسَـهْوِي وَخُـذْ بِوَصِـيَّتِي لَـكَ إِنْ رَشَـدْتَا

وَقَـدْ أَرْدَفْتُهَـا سِـتًّا حِسَـانًا وَكَانَـتْ قَبْـلَ ذَا مِئَـةً وَسِـتَّا

وَصَـلِّ عَلَى تَمَـامِ الرُّسْـلِ رَبِّي وَعِتْرَتِـهِ الكَرِيمَـةِ مَـا ذُكِرْتَـا






شرح
تائية الإلبيري



الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيِّدنا محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين..

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

١) تَفُتُّ فُؤَادَكَ الأَيَّامُ فَتَّا وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتَا

✍ قوله: «**تَفُتُّ فُؤَادَكَ الأَيَّامُ فَتَّا**»، فَتَّ الشيءَ إذا كَسَّره، ومن ذلك يقال للخبز المكسور: فتيت الخبز.

✍ قوله: «**فُؤَادَكَ**»، الفؤاد هو القلب، وقيل: غشاء القلب.

الشاهد أن هذه الأيام تُكَسِّر ذلك القلب الذي نبضه هو حياتك، فمتى فُتِّتَ وكُسِّرَ انقطعت أيامك وزال دهرك.

✍ قوله: «**فَتَّا**»، المصدر (فتا) مفعول مطلق، يراد به التوكيد؛ لئلا يخالجك شكٌّ في أنك بِناءٌ يُهدَم، وأنَّ الأيام تعمل فيه عملًا، فلا تغفل عن هذا، ولا تَسْهُ عنه.

✍ قوله: «**وَتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتَا**»، الساعات تنحتك، والنَّحت: هو البري، والقشر؛ كما يفعل النجار في الخشبة، ينحتها ويزيل ما علاها من

طبقاتها، تكون عريضة سميكة، فتُدَقُّ، وتُرَقُّ، وما زال ينحِت وينحِت حتى يذهب بها كلها.

كذلك تفعل فيك الساعات تنحِت وتنحِت، حتى إذا أنهتكَ نحتًّا، كانت أيام عمرك قد فنِيَت وانتهت.

يقول لك الناظم هذا؛ لتعي ذاك الأمر الذي لا تعيه في العادة.

وهذا الأمر فطِنَ له الناس قبل الإسلام؛ فقال امروء القيس:

أَرَانَا مُوضِعينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ ... وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ

«أرانا»: أظننا.

«موضعين»: الإيضاع نوع من المشي، نوع من السير.

«ونسحر بالطعام وبالشراب»: هذا الذي يسحرنا هو الذي يلهينا، عن هذا القشر، عن هذا النحت، عن هذا الهدم الذي تعمله فينا الأيام والساعات.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ

٢) **وَتَدْعُوكَ المَنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ ... أَلَا يَا صَاحِ أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا**

✍ قوله: «**وَتَدْعُوكَ المَنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ**»، المنون: المنيَّة، والمنيَّة هي الموت.

المنيَّة تدعوك دعاء صدق، لا تَخيُّلًا ولا كَذِبًا؛ «**أَلَا يَا صَاحِ أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا**»، كأنها لم تُخلَق إلا لك، وكأنك لم يَخلُقك الله إلا لها، كأنها تقول: أنت أريد لا سواك، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ أي: في قصور عالية

محصنة، فالكل يموت، هذا صدق دعوة المنيَّة، لم تكذب أحدًا قبلك، ولن تكذبك، كما أنها لن تكذب أحدًا بعدك.

✍ قوله: «**أَلَا يَا صَاحِ**»، أي يا صاحبي، وهي كلمةٌ مُرَخَّمة[١] حُذِف آخرها -الباء وضمير المتكلم-، فصارت: يا صاح.

✍ قوله: «**أَلَا يَا صَاحِ أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا**»، فإذا علمت أنك مُرَاد، وأنك مُدرَك، وأنك لو ارتقيت أو ابتغيت أسباب السماء بسلم؛ لنالتك أسباب المنايا، فاستعد لها بأن تحسن العمل. هذا المقصود.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٣) أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ غَدْرٍ　　　أَبَتَّ طَلَاقَهَا الأَكْيَاسُ بَتَّا

✍ قوله: «**عِرْسًا**»، العِرس هي المرأة، والمقصود بها هنا: الدنيا.

يا أيها الإنسان، يا من تعمل فيك الأيام، تفتُّ فؤادك، وتنحِت جسمك، وكدت تسمع دعاء المنيَّة بأذنيك، كيف لا تأبه بهذا كله! كيف تحصل لك الغفلة عن هذا كله! وتُحب عرسا (امرأة)! ثم هذه المرأة ذات غَدر!

✍ قوله: «**أَبَتَّ طَلَاقَهَا الأَكْيَاسُ بَتًّا**»، الأكياس جمع كيِّس، والكيِّس هو العاقل والفطن.

فهؤلاء الأكياس عرفوا هذه العرس وأنها ذات غَدر فطلقوها، ولم يكن

(١) التَّرخِيم: هو حذف آخر المنادى.

طلاقهم إياها طلاقَ من يرقُب رجعتها، بل طلقوها طلاقًا باتًّا لا رجعة فيه.

لذلك رووا عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فيما ذكر أصحاب التراجم والسير أنه قام ليلة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يتململ تململ السليم[1]، ويبكي بكاء الحزين، ويقول وهو قابض على لحيته، قائم بين يدي ربه: «**يا دنيا غُرِّي غَيْرِي ألي عَرَّضْتِ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّفْتِ؟ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلاثًا لاَ رَجْعَةَ فِيهَا، فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ، وَخَطَرُكِ يَسِيرٌ، وَأَمَلُكِ حَقِيرٌ، آهِ مِنْ قِلَّةِ اَلزَّادِ وَطُولِ اَلطَّرِيقِ وَبُعْدِ اَلسَّفَرِ**»[2].

فهذا علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كَيِّسٌ؛ بَتَّ طلاق العِرس ذات الغَدر هذه، وكل من قَلَّت كياسته وفطنته وعقله، لست أقول خطبها بل نافس فيها.

قَالَ ٱلْمُصَنِّفُ رَحِمَهُٱللَّهُ

٤) **تَنَامُ الدَّهْرَ وَيْحَكَ فِي غَطِيطٍ ... بِهَا حَتَّى إِذَا مِتَّ انْتَبَهْتَا**

قوله: «**وَيْحَكَ**»، كلمة تَرَحُّم، يقولها الإنسان لمن يرحمه.

يا هذا الإنسان، يا أبا بكر، الذي أُخلصُ لك النصيحة، ويحك ماذا تفعل؟ «**تَنَامُ الدَّهْرَ**»، شأنك غريب، لست تنام يوما، وتستيقظ يوما؛ لست غافلا مرة، منتبها أخرى. تنام الدهر، فمتى تستيقظ؟

قوله: «**حَتَّى إِذَا مِتَّ انْتَبَهْتَا**»، الناظم رَحِمَهُٱللَّهُ يقول لك: الناس موتى فإذا ماتوا انتبهوا، عرفوا أين يساقون، وعرفوا الأمر الذي كان يراد لهم، ويراد بهم،

(١) السليم: هو اللديغ الذي لدغته الحيَّة.

(٢) انظر: حِلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٨٥). ط: السعادة.

انقطع الغيب: القبر، البرزخ، العذاب، الجنة، الروح، الريحان؛ وصار كل ذلك شهادة عيان.

فالناظم يقول لك: لا تكن هكذا، لا تنم الدهر كالذي يغط وله شخير ونخير، إن لم تستيقظ في هذه الدنيا فمتى يكون استيقاظك؟ إذا مت! بئس الاستيقاظ هو حينئذ.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٥) فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ وَحَتَّى مَتَى لَا تَرْعَوِي عَنْهَا وَحَتَّى

✍ قوله: «فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ»: ألا عقل لك؟ أما ترى كيف صنعَتْ بالذين كانوا قبلك؟ بأبيك، وعمك، وجدك ومن قبلهم، ألم تخدعهم؟ ألم تغرَّهم؟ أما لك فيهم أسوة؟ أم تنتظر أن تغُرَّك كما غرَّتهم؟

لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين(١)، والمؤمن أخو المؤمن إذا لدغ منه ذاك، فلا تُلدغ منه أنت.

✍ قوله: «وَحَتَّى مَتَى لَا تَرْعَوِي» إلى متى لا ترعوي(٢) عن نومك بغطيط؟ وعن غفلتك؟ ماذا تنتظر؟ تنتظر موتتك التي تأتيك بالانتباه.

«وَحَتَّى مَتَى لَا تَرْعَوِي» سؤال استنكاري توبيخي؛ معناه: كُفَّ يا هذا،

---

(١) رواه البخاري (٦١٣٣)، ومسلم (٢٩٩٨) من حديث أبي هريرة بلفظ: «لا يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِن جُحْرٍ واحِدٍ مَرَّتَيْنِ».

(٢) الارعواء: الكف والامتناع.

فإنك لا تدري متى تأتيك ساعتك؟ فلتأتكَ وأنت على ارعواء قد كففت عن القبيح الذي يسخط ربك عليك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٦) «أَبَا بَكْرٍ» دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا إِلَى مَـا فِيـهِ حَظُّـكَ إِنْ عَقَلْتَـا

يا أبا بكر، إني قد دعوتك لو أجبت دعوتي، إلى ما فيه خيرٌ وحظٌ لك، إن عقلت هذه النصيحة التي سألقيها إليك. وكل واحد منا أبو بكر في هذه الساعة، إن أجاب وإن عقل ما سيُلقى إليه من الكلام.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٧) إِلَى عِلْـمٍ تَكُـونُ بِـهِ إِمَامًـا مُطَـاعًا إِنْ نَهَيْـتَ وَإِنْ أَمَرْتَـا

الصواب: إن أمرت وإن نهيت.

✍ قوله: «**إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا**»، أول ما أدعوك إليه هو العلم.

إلى علمٍ بربّك، وعلمٍ بشرع ربّك، وعلمٍ بكيف تتقرَّب إلى ربّك بامتثال ما يرضاه واجتناب ما يسخطه، إلى علمٍ بما يزلفك بين يدي ربّك ويجعل لك حسن المقابلة إذا لقيت رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الحوض.

✍ قوله: «**إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا**» يرفعك على رقاب النَّاس، يجعل أنظارهم إليك، وتشوُّفهم نحوك، ورضا أحدهم أن تبتسم إليه، وغاية أحدهم أن يفوز منك بدعوة صالحة.

وقوله: «**إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا مُطَاعًا إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَا**»، لا يعني أنّه ينصحه أن تكون تلك نيّته عند طلبه للعلم.

أنا أطلب العلم لأكون إمامًا، لن تكون، أَبشِر.

زَعَمَ الفَرَزدَقُ أَن سَيَقتُلُ مَربَعًا أَبشِر بِطولِ سَلامَةٍ يا مَربَعُ

تريد أن تطلب العلم لتكون إماما؟ أُبشرّك، لن تكون إماما.

النَّاس كانوا يطلبون العلم ليعبدوا ربَّهم على بصيرة، قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تعلمت العلم لنفسي وكذلك كان النَّاس»، فنفع الله بعلومهم.

فالقصد من قوله: «**إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا**»: أن الإمامة هي ثمرة؛ لا أن تكون النية من طلب العلم.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٨) وَيَجْلُو مَا بِعَيْنِكَ مِنْ غَشَاهَا وَيَهْدِيكَ السَّبِيلَ إِذَا ضَلَلْتَا

هذا العلم، هذه ثمرته، تكون به إماما، وثمرته القريبة لك: «**يَجْلُو مَا بِعَيْنِكَ مِنْ غَشَاهَا**»، والأفصح أن يقال (**عَشاها**).

والعشى: ضعف البصر. ولذلك يقال (الأعشى)، عشِيَ الرجل فهو (أعشى) والمرأة (عشياء). وإذا اشتّد ضعف البصر صار (عمى)، كان أعشى فصار أعمى، نسأل الله العافية منهما.

فهذا العلم يُذهب عنك العشى الذي على عينك. هذا ضعف البصر الذي

لا تعرف، هذا الشيء الذّي تأتيه، هل يجوز لك إتيانه أم لا يجوز لك؟ هذا عشى.

فالعلم يجلو ما بالعين من (عشاها).

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ

٩) وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا وَيَكْسُوكَ الجَمَالَ إِذَا اغْتَرَبْتَا

✍ قوله: «**وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا**» النادي، مجلس القوم ومتحدثهم.

وتاج العلم لا يُخلع عن رأس صاحبه، وغيره من التّيجان إمّا أن يُخلع عنه وإمّا أن يخلعه هو بموته.

هب أنّه بقي صاحب تاجٍ -رجلا ثريًّا أو ملكا أو هكذا-، هذا إمّا أن يذهب عنه ملكه وثروته، أو أن يذهب هو ويتركه بالموت. لابّد من إحدى هاذين.

أما تاج العلم لا يتركك في الدنيا، ينفعك عند الله بعد الموت. وصاحب تاج العلم بين النَّاس أشدّهم عظمة وأحسنهم منظرًا وأبهاهم رواءً[1].

✍ قوله: «**وَيَكْسُوكَ الجَمَالَ إِذَا اغْتَرَبْتَا**»، العادة أنّ الغريب بين ظهراني قوم يحاول أن لا ترمقه الأبصار، وأن لا يشار له، فهو دائما مكسور الشوكة.

يقول الناظم: هذا العلم لا يجعل لك شوكة فقط، بل **يكسوك الجمال**. ولم يقل: يكسوك الشيء الجميل، بل قال: يكسوك الجمال نفسه. هذا إذا كان حالك في الاغتراب، فما ظنّك بحالك في الاستيطان!

(١) الرُّوَاءُ: حُسن المنظر في البهاء والجمال.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

١٠) يَنَالُكَ نَفْعُهُ مَا دُمْتَ حَيًّا وَيَبْقَى ذُخْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا

يبقى نفعه ما دمت حيًّا بشتّى أنواع النفع، وينفعك في الآخرة؛ لأنّك تعبد ربّك على بصيرة؛ تعرف مراضي الله فتأتيها وتعرف مساخطه فتجتنبها وتنئى عنها.

تريد الدنيا؟ عليك بالعلم، تريد الآخرة؟ عليك بالعلم.

✍ قوله: «**وَيَبْقَى ذُخْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا**»، ذَخَرَ الشيء خبأه لوقت الحاجة إليه، وبمجرّد أن تلفظ أنفاسك، كلّ ما ذخرته تحتاجه.

ولذلك في الحديث الطويل عن الرجل يكون في القبر. النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ويأتيه رَجُلٌ حَسَنُ الوَجهِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فيَقولُ له: أبشِرْ بالذي يَسُرُّكَ، فهذا يومُكَ الذي كُنتَ تُوعَدُ. فيَقولُ: مَن أنتَ فوَجهُكَ الوَجهُ الذي يأتي بالخَيرِ؟ فيَقولُ: أنا عَمَلُكَ الصَّالِحُ**»(١). أنا ذخرك الذي كنت تخبئني، الآن لا أفارقك. النَّاس تخاف وأنت آمن، النَّاس تفزع وأنت مطمئن.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

١١) هُوَ العَضْبُ المُهَنَّدُ لَيْسَ يَنْبُو تُصِيبُ بِهِ مَقَاتِلَ مَنْ ضَرَبْتَا

✍ قوله: «**العَضْبُ**» هو السيف القاطع.

✍ قوله: «**المُهَنَّدُ**» هو السيف المصنوع من حديد الهند، وحديد الهند في

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (١٨٥٥٧)، والنسائي (٢٠٠١)، وابن ماجه (١٥٤٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٩٥).

ذلك الوقت أجوده.

✍ قوله: «**لَيْسَ يَنْبُو**»، السيف ينبو إذا ضرب فلم يقطع، ذلك سيف نابٍ.

يقول لك: هذا عضب ومهنّد، فهل ينبو؟ لا، ليس ينبو.

✍ قوله: «**تُصِيبُ بِهِ مَقَاتِلَ مَنْ ضَرَبْتَا**»، تحوجك الأيّام إلى مناظرة، إلى جدال، إلى مناقشة. بالعلم تصيب المحزّ ولا تخطئ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

١٢) وَكَـنْزٌ لَا تَخَـافُ عَلَيْـهِ لِصًّـا … خَفِيـفُ الحَمْلِ يُوجَـدُ حَيْثُ كُنْتَا

الكنز في الأصل هو المال، وقالوا: الكنز يطلق على الذهب، ويطلق على الفضّة، ويطلق على كلّ مجموع يتنافس فيه، هذا كلّه كنز عند العرب.

وفي الغالب اللّصوص تبحث عن الكنوز، لكن هذا الكنز الذي عندك - وهو العلم- لا تخاف عليه لصًّا؛ لأنّه دائما معك حيث كنت.

وهذا فيه أيضا إشارة يا طالب العلم إلى أن علمك هو الذي تحفظه في صدرك، ليس كتبك في مكتبتك، فتلك تخاف عليها اللّص والفأر والنار والماء، فهي دائما مهددة.

ولذلك تُنسب إلى الشافعي الأبيات المعروفة:

عِلمـي مَعـي حَيـثُما يَمَّمـتُ يَنفَعُنـي … قَلبـي وِعــاءٌ لَـهُ لا بَطـنُ صُـندوقِ

إِن كُنتُ فِي البَيتِ كانَ العِلمُ فيهِ مَعي … أَو كُنتُ فِي السوقِ كانَ العِلمُ فِي السوقِ

لما طردوا ابن حزم ونفوه إلى البادية -إحدى بوادي الأندلس- ومات فيها غريبًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ مطرودًا، وأحرقوا كتبه، قال لهم:

فَإِنْ تُحْرِقُوا القِرْطَاسَ لاَ تُحْرِقُوا الَّذِي ... تَضَمَّنَهُ القِرْطَاسُ بَلْ هُوَ فِي صَدْرِي

كيف ستصنعون به؟ أحرقتم الكاغِدَ والأوراق، فكيف ستصنعون بالذي في صدري؟ ها هو أعيد كتابته، وكذلك فعلها وكتبه عندنا.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

١٣) يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الإِنْفَاقِ مِنْهُ ... وَيَنْقُصُ إِنْ بِهِ كَفًّا شَدَدْتَا

هذا هو الكنز الوحيد الذي على خلاف المعهود؛ كل كنز ينقصُ بالإنفاق منه، إلا العلم، فهو الكنز الوحيد الذي إذا أنفقت منه زاد، وإذا لم تنفق منه نقص.

لكن كيف تنفق منه؟ بأن تبذله لأهله لا لغيرهم.

إذا بذلته لأهله، يأتيك بالزيادة بأن يحملك على المذاكرة والبحث، هذا يسألك سؤالًا لم يمر عليك، فتبحث وتنظر وتذاكر، فيكون سببًا في زيادة علمك.

وإن شددت الكف به ولم تبذله، كان هذا سبب إلى نقصه بنسيانه، لأن المذاكرة سببٌ للبقاء.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

١٤) فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حَلْوَاهُ طَعْمًا ... لَآثَرْتَ التَّعَلُّمَ وَاجْتَهَدْتَا

✍ قوله: «فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حَلْوَاهُ»، العلم له حلاوة غريبة، لو ذُقتها

لاجتهدت، لكن سبب كسلك أنك لم تذقها.

ولا تظن أنك بإبتدائك ستجد الحلاوة، بل بعد إن شاء الله إن صبرت، وإلا فارتاح العلم منك وارتحت منه.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

١٥) وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنْهُ هَوىً مُطَاعٌ وَلَا دُنْيَــــا بِزُخْرُفِهَــــا فُتِنْتَــــا

لو ذقت حلوى العلم لاجتهدت في تحصيله ولم تنم، ولم يشغلك عنه هوى مطاع أو زينة الدنيا وزخرفها.

والهوى ما تميل إليه، فنفسك لا تميل إلا إلى العلم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

١٦) وَلَا أَلْهَاكَ عَنْهُ أَنِيقُ رَوْضٍ وَلَا خِــــدْرٌ بِرَبْرَبِــــهِ كَلِفْتَــــا

✍ قوله: «**وَلَا أَلْهَاكَ عَنْهُ أَنِيقُ رَوْضٍ**»، أنت مع العلم في روض دائم، لكن الذين معك لايشعرون.

✍ قوله: «**وَلَا خِدْرٌ بِرَبْرَبِهِ كَلِفْتَا**» الخدر، الستر هذا الذي فيه الربرب.

والربرب: قطيع الظباء، والظبي تُشبّه به المرأة.

والمقصود: أن لا يلهيك ذاك الخدر الذي فيه تلك الغانيات، إنما يلهيك ويشغلك ويأخذ بحواسك كلها العلم.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

١٧) فَقُوتُ الرُّوحِ أَرْوَاحُ المَعَانِي ... وَلَيْسَ بِأَنْ طَعِمْتَ وَأَنْ شَرِبْتَا

قوت البدن أن تطعم وتشرب، لكن قوت الروح أرواح المعاني، عندما تتجلى لك تلك الفهوم في كلام ربنا، كما روى البخاري عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال له: «**هلْ عِنْدَكُمْ شيءٌ مِنَ الوَحْيِ إلَّا ما في كِتَابِ الله قَالَ: لا والذي فَلَقَ الحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ، ما أعْلَمُهُ إلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ الله رَجُلًا في القُرْآنِ**»[1].

تقرأ كتب التفسير لتنظر ما يقول فيها العلماء، ثُم وأنت جالس تنظر في روضك الأنيق الذي في ذهنك، تقلب فيه نظرك وتُسَرِّح فيه فكرك، وإذا بك يتجلى لك معنىً من المعاني لم يذكره أحد من هؤلاء الذين قرأت لهم، ففَجَرت نكتة من كتاب الله يصدق فيها كلام ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما وصف القرآن العظيم قال: «لا تنقضي عجائبه». عجيبة من العجائب اختارك ربك وادخرها لك، كما ادخر لغيرك عجائب تأتي وينبئ عنها الزمان.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

١٨) فَوَاظِبْهُ وَخُذْ بِالجِدِّ فِيهِ ... فَإِنْ أَعْطَاكَهُ اللَّهُ أَخَذْتَا

✍ قوله: «**فَوَاظِبْهُ**»، الضمير يعود على العلم الذي ما زال الحديث عنه، لازمه وتعهده وَدُم عليه، «**وَخُذْ بِالجِدِّ فِيهِ**»، فلابد فيه من الجد والمواظبة.

✍ قوله: «**فَإِنْ أَعْطَاكَهُ اللهُ أَخَذْتَا**»، وفي روايةٍ: «انتفعتا»، إذا أعطاك الله هذا

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٧).

الرزق الذي بذلت له كل سبب، وهجرت له كل محبوب، وطلبت فيه كل سبيل؛ فقد انتفعت في الدنيا، وانتفعت في الآخرة؛ لأن الذي أعطاك ذلك الرزق، ظنُّنا به أنه يعطيك العمل به أيضًا، ويفتح لك فيه.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

١٩) وَإِنْ أُوتِيتَ فِيهْ طُولَ بَاعٍ ... وَقَالَ النَّاسُ إِنَّكَ قَدْ سَبَقْتَا

٢٠) فَلَا تَأْمَنْ سُؤَالَ اللهِ عَنْهُ ... بِتَوْبِيخٍ عَلِمْتَ فَهَلْ عَمِلْتَا

✍ قوله: «**وَإِنْ أُوتِيتَ فِيهْ طُولَ بَاعٍ**»، الباع هو ما بين كف الرجل اليمنى وكفه اليسرى إذا مدهما مبسوطتان، هذا الباع مقياس.

إن أعطيت في العلم شيئًا كثيرًا، حفظت منه كثيرًا، وعرفت منه كثيرًا، واطلعت منه على كثيرٍ.

✍ قوله: «**وَقَالَ النَّاسُ إِنَّكَ قَدْ سَبَقْتَا**»: إذا قال الناس: هذا الشيخ أحسنُ من عندنا، وهذا الفقيه أعلمُ من عندنا، وهذا المحدث أفضل من عندنا، وهذا اللغوي كذا وكذا.

✍ قوله: «**فَلَا تَأْمَنْ سُؤَالَ اللهِ عَنْهُ بِتَوْبِيخٍ عَلِمْتَ فَهَلْ عَمِلْتَا**» لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن أربع(١)، ومن جملة الأربع التي ذكرها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وعن علمه ماذا عمل فيه؟

إن كنت لا تعمل، لم تُكثر حجج الله عليك! نعوذ بالله من مقام الخزي هذا.

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، والدارمي (٥٣٧).

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٢١) فَرَأْسُ العِلْمِ تَقْوَى اللَّهِ حَقًّا وَلَيْسَ بِأَنْ يُقَالَ لَقَدْ رَأَسْتَا

رأس العلم تقوى الله، وليس بأن يقال: لقد صرت رأسًا. فالعلم إن لم يولِّد فيك تقوى الله؛ فلست رأسًا فيه وإن زعم الناس جميعًا أنك كذلك.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٢٢) وَضَافِي ثَوْبِكَ الإِحْسَانُ لَا أَنْ تُرَى ثَوْبَ الإِسَاءَةِ قَدْ لَبِسْتَا

✍ قوله: «**وَضَافِي ثَوْبِكَ الإِحْسَانُ**»: الثوب الضافي هو الثوب السابغ الساتر.

وفي رواية أخرى: «**وَأَحْسَنُ ثَوْبِكَ**»، فأحسن الثوب هو ثوب الإحسان، أن تحسن في الذي بينك وبين الله، أن تُحسن في الذي بينك وبين هذا العلم الذي تحملته، أن تحسن في الذي بينك وبين الناس؛ أن يروا علمك متمثلًا فيك، تقوى، وطاعة، وقربًا، هذا هو أحسن ثوبك، لا ثوب الإساءة الذي يكون فيك الكبر، والتحقير للناس أن جهلوا الذي عرفت، ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾، هذه نعمة من الله عليك.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٢٣) إِذَا مَا لَمْ يُفِدْكَ العِلْمُ خَيْرًا فَخَيْرٌ مِنْهُ أَنْ لَوْ قَدْ جَهِلْتَا

✍ قوله: «**إِذَا مَا لَمْ يُفِدْكَ العِلْمُ خَيْرًا**»، أورثك الرحمة في القلب لأمة رسول الله ﷺ؛ «**فَخَيْرٌ مِنْهُ أَنْ لَوْ قَدْ جَهِلْتَا**» إذا لم تفدك تلك السنة التي تتعلمها، سَمْتُ صاحبها، ورقته، ورأفته، واعتناءه بالخلق، وسعيه في قضاء حاجات ذوي

الحاجات؛ فلأي شي تتعلمها وتكثر حجج الله عليك؟

إذا العلم لم يفدك الخير؛ فالجهل خير منه.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٢٤) وَإِنْ أَلْقَاكَ فَهْمُكَ فِي مَهَاوٍ   فَلَيْتَــكَ ثُــمَّ لَيْتَــكَ مَــا فَهِمْتَــا

✍ قوله: «وَإِنْ أَلْقَاكَ فَهْمُكَ فِي مَهَاوٍ»، جمع مهوى، وهو الموضع بين جبلين، إذا اسقطك فهمك في مهوى، فعدم الفهم كان أولى بك؛ تبقى على الأقل في رأس جبل في نجاة.

والأعظم والأشنع ألا يلقيك فهمك وحدك؛ بل يلقيك ويلقي أقوامًا تَبِعُوك في فهمك ذاك الذي فهمته، فتُسأل عنهم جميعًا.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٢٥) سَتَجْنِي مِنْ ثِمَارِ العَجْزِ جَهْلًا   وَتَصْــغُرُ فِي العُيُــونِ وَإِنْ كَبِرْتَــا

هذا كله يقوله لك: فواظبه وخذ بالجد فيه؛ لأنك إن لم تواظبه، واتبعت سبيل الكسل؛ ستجني ثمرة الكسل: وهي العجز، ستبقى جاهلًا.

لا تكسل! إما أن تأخذه بالجد، وإما أن تترك أخذه، وانظر ما الذي تنفع به نفسك والذي تنفع به غيرك.

✍ قوله: «وَتَصْغُرُ فِي العُيُونِ وَإِنْ كَبِرْتَا» أي كبرت في السن، فتكون شيخًا ولحيتك بيضاء، لكن تزدريك العيون، وتقتحمك الأنظار؛ لأنه لا شأن لك.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٢٦) وَتُفْقَدُ إِنْ جَهِلْتَ وَأَنْتَ بَاقٍ   وَتُوجَـدُ إِنْ عَلِمْـتَ وَإِنْ فُقِـدْتَا

✍ قوله: «وَتُفْقَدُ إِنْ جَهِلْتَ وَأَنْتَ بَاقٍ»، موجود تراك الأعين، تسمعك الآذان؛ لكنك مفقود، لا شأن لك، لا قيمة لك، لا عبرة بك، وجودك وعدمك سواء، لا نفرح بك إذا جئت ولا نفقدك إذا غبت، فما خيرُك إذًا؟

وأنت تنتسب إلى هذه الطائفة، طائفة طلبة العلم الذين يُطلبون، تريد أن تُفقد إذا غِبت؟ تُريد أن يُفرَح بك إذا جئت؟ فخُذ بالجِدِ فيه وواظبه. لأنك إذا فعلت، وإن فُقدت؛ ستكون موجودًا، وإن لم تكن موجودًا بشخصك، فأنت موجود بقولك وعلمك.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٢٧) وَتَذْكُرُ قَوْلَتِي لَكَ بَعْدَ حِينٍ   وَتَغْبِطُهَـا إِذَا عَنْهَـا شُـغِلْتَا

✍ قوله: «وَتَذْكُرُ قَوْلَتِي لَكَ بَعْدَ حِينٍ»: إذا لم تقبل نصيحتي، ولم ترفع بها رأسًا، ولم تلق إليها بالًا؛ ستغبطُها وتتمناها إذا شُغلت عنها، حين لا ينفع أن تندم.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٢٨) لَسَوْفَ تَعَضُّ مِنْ نَدَمٍ عَلَيْهَا   وَمَـا تُغْـنِي النَّدَامَـةُ إِنْ نَـدِمْتَا

كنت أقول لك: يا فلان احفظ القرآن، يا فلان اقرأ، احفظ، اصنع كذا.

أضعت زمنًا ثمينًا، لا تراجُع، لا تَدارُك، لا يبقى إلا الندم، فليس عندك عمر ثانٍ، هو عمر واحد.

نصحكَ اللبيب، وأخلص لك النصيحة، لكنك ما أردت، فعضضت أصابع الندم، والندامة تحرق القلب، نسأل الله العافية.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٢٩) إِذَا أَبْصَرْتَ صَحْبَكَ فِي سَمَاءٍ قَدِ ارْتَفَعُوا عَلَيْكَ وَقَدْ سَفُلْتَا

تقول لابنك: أرأيت يا بُنَي هذا الشيخ الذي قلوب أفئدة الناس تهوي إليه؟ هذا درس معي، فيقول لك ابنك: كيف هو ذا في السماء، وأنت بلغت القعر وما زلت؟

وهذا كما وقع لذلك الغلام الذي كان مع ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال له ابن عباس: «**هَلُمَّ نَسأَلْ أصحابَ رَسولِ الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ **فإنَّهمُ اليَومَ كَثيرٌ**»، فقال له ذاك الغلام: «**واعَجَبًا لكَ يا ابنَ عبَّاسٍ، أترى الناسَ يَحتاجونَ إليكَ، وفي الناسِ مِن أصحابِ النَّبيِّ** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **مَن تَرى؟!**»(١)، يعني يرى، هذا أبو بكر، وهذا عمر، وهذا عثمان، وهذا علي... رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إلخ، يحتاجون إلي أو إليك، قال الفتى: فتركني وذهب.

ذاك الآن صار رجلًا يرى ابن عباسٍ، أصحاب الحديث يقصدونه، أصحاب القرآن يقصدونه، أصحاب الشعر يقصدونه، كل طالب علم يقصده، وهو لا يأبه به أحد. وقد كان ابن عباس ينصحه: «فهلم نطلب العلم»؛ ها وقد أُحتيج إليه ولم يُحتج إليك.

(١) أخرجه الدارمي (٥٩٠).

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٣٠) فَراجِعْها وَدَعْ عَنكَ الْهُوَيْنَى   فما بالبطءِ تدْرِك ما طَلَبْتا

فراجع نصيحتي، واشتغل وجد وواظب، فإن الذي عَرفَ ما يطلب، هان عليه ما يبذل، فليس بالبطء تدرك ما أردت.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٣١) وَلَا تَحْفِلْ بِمَالِكَ وَالْهُ عَنْهُ   فَلَيْسَ المَالُ إِلَّا مَا عَلِمْتَا

إذا أُوتيت مالًا وسعة رزق، لا تحفِل ولا تبال به، لا تجعل وقتك كله إلى ذلك المال: كيف تنميه وتوسّعه؟ لأن مالك هذا الذي تظنه مالك يتركك أو تتركه، فتفارقه ويفارقك، أما علمك فهو حقا مالك الذي لا يفارقك ولا تفارقه.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٣٢) وَلَيْسَ لِجَاهِلٍ فِي النَّاسِ مَعْنًى   وَلَوْ مُلْكُ العِرَاقِ لَهُ تَأَتَّى

فالجاهل لا معنى فيه؛ لا تفرح بوجوده، ولا تحزن لفقده، ولا يأتيك منه في الغالب ما ينفعك، وإن جاءك منه شيء فإنما يأتيك منه ما يضُرك فما المعنى الذي فيه، ولأي شيء تستبقيه!

ولو تأتى لك مُلك العراق[1] وكنت جاهلا، لم يأتك مُلك العراق بالمعنى الذي أفقدك إياه الجهل.

(١) خصَّ العراق بالذكر من جزيرة العرب كلها؛ لأن العراق في ذلك الزمن هي التي يُضرب بها المثل في كثرة الخير، وتسمى سوادًا لكثرة النخل والخير فيها.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٣٣) سَيَنْطِقُ عَنْكَ عِلْمُكَ فِي نَدِيٍّ   وَيُكْتَبُ عَنْكَ يَوْمًا إِنْ كَتَبْتَا

✍ قوله: «سَيَنْطِقُ عَنْكَ عِلْمُكَ فِي نَدِيٍّ»، علمك سيُنبئ عنك، سيُجلي قدرك في مجتمع الناس، وفي متحدثهم، وبين ذوي الهيئات والملأ منهم، فيُلقى السؤال إلى الجماعة فلا يكون عند أحد منهم نبأ من ذاك الذي سُئِلوا عنه، فإذا بك تنطق وتتكلم.

✍ قوله: «وَيُكْتَبُ عَنْكَ يَوْمًا إِنْ كَتَبْتَا»: وما أحوجك أن ينتفع الناس بما يُكتب عنك من العلم إذا ذهبت، انقطع عملك، ولا ينقطع إذا تركت شيئا يُكتب عنك، ولذلك قال أحدهم:

وما من كاتبٍ إلا سيفنى   ويُبقي الدَّهر ما كتبت يداهُ
فلا تكتب بخطك غير شيءٍ   يَسُرَّك في القيامة أن تراهُ

وفي الحديث: «إِذَا مَاتَ ابنُ آدم انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: ... أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ...»[1]، مسموعًا كان أو مقروءًا أو مكتوبًا.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٣٤) وَمَا يُغْنِيكَ تَشْيِيدُ المَبَانِي   إِذَا بِالجَهْلِ نَفْسَكَ قَدْ هَدَمْتَا

تشييد المباني: طلاؤها بالشيد، والشيد هو كل ما يُطلى به البناء وما يجمل به.

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١).

ما يغنيك تشييد المباني، وقد هدمت نفسك بالجهل!

والجهل مرض، ودليله قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ**»(١)، والعي هو الجهل.

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعله داءًا، ويشفى منه بالسؤال الذي هو العلم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٣٥) جَعَلْتَ المَالَ فَوْقَ العِلْمِ جَهْلًا ... لَعَمْـرُكَ فِي القَضِـيَّةِ مَـا عَـدَلْتَا

✍ قوله: «**جَعَلْتَ المَالَ فَوْقَ العِلْمِ جَهْلًا**» لو عقلت وفطنت وفهمت ما جعلت المال فوق العلم!

لماذا يجعل الناس المال فوق العلم، ويرون الغني أعلى من العالِم الذي ليس بغني؟ وقد لا يصلك منه شيء ينفعك، هذا غاية الحمق؛ فهذا الغني لا يصلك منه شيء ينفعك، وهذا العالِم ينفعك كلامه وعلمه في كل حين، وإذا رأيت الغني عظَّمته، وإذا رأيت العالِم الفقير ازدريته واقتحمت عيوبه، وهذا في غاية العجب.

فهذه قضية جُرت فيها وجانبت فيها العدل والصواب، بدليل الذي سيأتي.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٣٦) وَبَيْنَهُمَا بِـنَصِّ الـوَحْيِ بَـوْنٌ ... سَـــتَعْلَمُهُ إِذَا «طَـــهَ» قَرَأْتَـــا

هذا هو الدليل: «**وَبَيْنَهُمَا بِنَصِّ الوَحْيِ بَوْنٌ**»، فرق كبير، ستعلم هذا الفرق

(١) أخرجه أبو داود (٣٣٦)، والدارقطني (١/ ١٨٩)، والبيهقي (١١١٥).

وهذا البون إذا قرأت سورة طه، حيث تجد فيها أن ربنا سبحانه يأمر نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاستزادة من العلم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وينهاه عن أن يمدّ عينيه إلى ما متع به الناس، ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٣١﴾ [طه:١٣١].

هذا نص الوحي، يبين لك أيها العاقل أن العلم أعلى من المال.

ولذلك رحمة الله عليهم كانوا يقولون: «من أوتي القرآن فرأى أن غيره قد أوتي خير منه فقد عظّم ما حقر الله، وحقر ما عظم الله».

قَالَ ٱلْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٣٧) لَـئِنْ رَفَـعَ الغَـنِيُّ لِـوَاءَ مَـالٍ   لَأَنْـتَ لِـوَاءَ عِلْمِـكَ قَـدْ رَفَعْتَـا

✍ قوله: «**لَئِن رَفَعَ الغَنيُّ لِواءَ مالٍ**» رفع عَلَم المال، شارته وعلامته التي تنتج التعظيم والتبجيل والاحترام والابتسامة، واللقاء بالحفاوة والإكرام.

✍ قوله: «**لَأَنتَ لِواءَ عِلمِكَ قَد رَفَعتا**»، وهذا الذي رفعته، يلقاك به قوم أكرم من الذين لقوا ذلك الغني.

هب أنك انصرف عنك الناس أجمعون ولما يأبهوا لك، ولم يلتفتوا إليك، ولا أعاروك أذانًا صاغية، ولا اشرأبت إليك أعناقهم، فالذين يدعون لك أكرم من أولئك، وهم الملائكة، الحوت في البحر، والنملة في جحرها، أنت نائم وهم يستغفرون لك، أنت في حاجتك وهم يستغفرون لك، أنت مع أهلك وهم يستغفرون لك، وإن أهل السموات والأراضين يستغفرون لك.

كما في الحديث: «**إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ**»[1].

والغني إذا لم يكن عاقلا، إذا لم يُسخر ما رزقه الله له لعباد الله، ببذل النفع لهم، يكون ذلك حسرة عليه يوم القيامة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٣٨) وَإِنْ جَلَسَ الغَنِيُّ عَلَى الحَشَايَا   لَأَنْتَ عَلَى الكَوَاكِبِ قَدْ جَلَسْتَا

هذه المقارنة يذكرها الناظم لأنه يراها في الناس.

أنت رجل لديك ابنة تريد تزويجها، فيأتيك أعلم أهل الأرض فيخطبها، وبعد خروجه يأتيك أغنى أهل الأرض لكنه مع ذلك أجهل أهل الأرض، من تزوجها؟

لهذا الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعدل هذه الموازين المختلة، يقول لك: «**وَإِن جَلَسَ الغَنيُّ عَلى الحَشايا**»، الحشايا: جمع حشية، وهي الفراش المحشو، يعني هذا يجلس على فراش حشوه ريش النعام.

إذا جلس هو على تلك الحشايا، أنت جلست على الكواكب إذا كنت ممن يعقل، أنت لا تمشي على الأرض، أنت كأنك في الملأ الأعلى بهذا الذي تطلبه وتأخذه، أنت تسلك طريق الجنة.

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥).

ألم يخبرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحديث: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**»(١)، أنت على تلك الخطى، تضرب بقدميك إلى الجنة، أي حشايا ومع من تقارن نفسك يا هذا؟!

أهل القرآن، أهل الله وخاصته، أعرف نفسك يا هذا، وأقدرها قدرها، احمد ربك على الاصطفاء الذي اصطفاك، أتظن أن هذا العلم الذي استودعكه ربك في صدرك، بأي شيء جاءك؟ ربك اصطفاك، اختارك وسط ألوف من الناس لتكون وعاء لهذا العلم، لتكون حاملا لهذا الخير.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٣٩) **وَإِنْ رَكِبَ الْجِيَادَ مُسَوَّمَاتٍ ... لَأَنْتَ مَنَاهِجَ التَّقْوَى رَكِبْتَا**

✍ قوله: «**وَإِنْ رَكِبَ الْجِيَادَ**»، الجياد: جمع جواد، وهو الفرس أو الحصان الجيد، «**مُسَوَّمَاتٍ**»، معلمات، «**لَأَنْتَ مَنَاهِجَ التَّقْوَى رَكِبْتَا**»، الذي ركبته خير من الذي ركبه.

مناهج: جمع منهاج، والمنهاج الطريق الواضح البين، طريق التقوى واضح لك. أنت الآن كأنك معنيٌّ بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا**»(٢)، كما تبين لك نهارا تبين لك ليلا، لا تتيه ولا تضل فيها بالليل وبالنهار، لأن النور الذي هو العلم الذي ينير لك تلك الدروب هو عندك وأتاكه الله.

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٢١٧١٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (١٧١٤٤).

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٤٠) وَمَهْمَا افْتَضَّ أَبْكَارَ الغَوَانِي فَكَمْ بِكْرٍ مِنَ الحِكَمِ افْتَضَضْتَا

✍ قوله: «**وَمَهْمَا افْتَضَّ أَبْكَارَ**»، الأبكار: جمع بكر، وهي المرأة التي لم يسبق لها الزواج. «**الغَوَانِي**»، جمع غانية، وهي المرأة التي تُطلَب، ولا تَطلُب، جميلة، غُنِيَت بحسنها وجمالها عن التجمل والتزين والتحلي.

✍ قوله: «**وَمَهْمَا افْتَضَّ أَبْكَارَ الغَوَانِي**»، التي لم تقدر عليها أنت، لكن أنت عوضت بما هو خير من ذلك ولكنك لا تعقل، لو كان هذا المنصوح عاقلا لما احتاج هذا الكلام أن يُبيّن له.

أنت كم من الحكم الأبكار افتضضت؟ افتضضتها لأنك لم تُسبَق إليها، إذا ذكر ذلك القول، سيُنسب لك ويترحم المترحمون عليك.

هذا الغني مات وماتت الغانية ومضى الكل.. وأنت مت، لكن تلك البكر التي اُدخرت لك، تلك الحكمة التي خُبأت لك حتى جئتها بقيت للناس وانتفعوا بها، فنالك نفعها. أفهم هذا الشيء، لا تسابقهم فيما يذهب، سابق من يسابق فيما يبقى.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٤١) وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الإِقْتَارُ شَيْئًا إِذَا مَا أَنْتَ رَبَّكَ قَدْ عَرَفْتَا

✍ قوله: «**وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الإِقْتَارُ شَيْئًا**»: لأنك غنيت بمعرفة الغني، ألم يكونوا يقولون في الدعاء: «اللهم أغنني بالافتقار إليك، ولا تفقرني بالاستغناء عنك».

إذا عرفت ربك، وأنه الرازق، وأنه الذي يوسّع عليك، وأنه هو الذي يبتليك بالفقر كما يبتليك بالغنى، يبتليك بالغنى ليرى أتحسن إلى خلقه كما أحسن إليك، ويبتليك بالفقر ليرى أتعبده في الضراء كما تعبده في السراء، أتقبل عليه في الضراء كما تقبل عليه في السراء، أم أنك إذا أصابك الخير اطمأننت به، وإن مسّك الضر انحرفت جانبا عن ربك.

من عرف ربه لن يضره ما فاته، من وجد الله فقْد وجد كل شيء، ومن فقَد الله، فلم يجد شيء، فقْد فَقَد كل شيء.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٤٢) فَمَاذَا عِنْدَهُ لَـكَ مِـنْ جَمِيـلٍ إِذَا بِفِنَـــاءِ طَاعَتِـــهِ أَنَخْتَـــا

هذا هو الله؛ إذا عرفت ربك وقصدته وقرعت بابه، كم لك عنده من جميل.

ربك يناديك، يخبرك بوعده لك: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢]. ثم أنت تبكي على الدنيا وتخافها؟ والله ما الدنيا أخشى عليكم، أخشى عليكم التنافس فيها[(١)].

(١) أخرجه البخاري (٤٠١٥) من حديث عمرو بن عوف المزني، بلفظ: «فَوَاللهِ ما الفَقْرَ أَخْشَى عليْكُم، ولَكِنِّي أخْشَى أنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كما بُسِطَتْ علَى مَن كانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كما تَنَافَسُوهَا، وتُهْلِكَكُمْ كما أهْلَكَتْهُمْ».

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٤٣) فَقَابِلْ بِالقَبُولِ صَحِيحَ نُصْحِي فَإِنْ أَعْرَضْتَ عَنْهُ فَقَدْ خَسِرْتَا

فقابل بالقبول هذا النصح الذي أعطيك، فإنه نصح صحيح، لا تأخذك العزة، لا تقل: انصح نفسك، أنا أدرى منك بمصلحتي، لا تنصحني.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٤٤) وَإِنْ رَاعَيْتَهُ قَوْلًا وَفِعْلًا وَتَاجَرْتَ الإِلَهَ بِهِ رَبِحْتَا

إن راعيت قولي، وأخذت نصيحتي، ووضعتها موضع القبول، وتاجرت الإله بهذا الذي نصحتك به وهو العلم، فقد ربحت، ستربح عند الله عندما ترى تلك الأجور، أنت مت، والناس تعمل بقولك، وتقرأ كتبك وتستفيد منها، والأجور تأتيك من حيث تدري، ومن حيث لا تدري.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٤٥) فَلَيْسَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ تَسُوؤُكَ حِقْبَةً وَتَسُرُ وَقْتَا

هذه الدنيا ليست بشيء، هذا الذي تراه فيها ويغرّك ويسرّك وتتمناه وتغبط الذين لهم الذي ليس عندك، هذه الدنيا ليست بشيء.

أعجبني قول إنسان: نحن نعيش في دار الخيال، دار الحقيقة هي التي نأتيها، ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣﴾ [المؤمنون]، كيف يوم أو بعض يوم؟ خيال، الحقيقة هي التي تأتي، هذه الدنيا ليست بشيء، تسوؤك مرة وتسرك مرة.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٤٦) وَغَايَتُهَا إِذَا فَكَّرْتَ فِيهَا كَفَيْئِكَ أَوْ كَحُلْمِكَ إِنْ حَلَمْتَا

✍ قوله: «كَفَيْئِكَ أَوْ كَحُلْمِكَ إِنْ حَلَمْتَا»، هذه الدنيا، غايتها إن فكرت، كفيئك أو كحلمك، كما لو كنت تحلم.

والفيء هو ظل الزوال، يسمى فيئا لأنه يرجع، فالشمس إذا طلعت على شاخص يكون الظل طويلا، وهي تطلع وهو يقصر، حتى إذا زالت الشمس وتوسطت كبد السماء توقف الظل عن الحركة، فإذا زالت من كبد السماء، رجع الظل إلى ما كان عليه من الطول، فيطول شيئا فشيئا، والمقصود بالفيء أنه يفيئ للذي كان عليه من الطول بعد القصر، فلذلك سُمي فيئا.

وهذا يشير به الشيخ إلى حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَالي وَلَلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا في الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**»[(١)]، هي الدنيا كلها كمثل الفيء الذي استظل به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم راح وتركه.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٤٧) سُجِنْتَ بِهَا وَأَنْتَ لَهَا مُحِبٌّ فَكَيْفَ تُحِبُّ مَا فِيهِ سُجِنْتَا

وهذا في غاية العجب. أرأيتم سجينا قط يحب ما سُجن فيه؟ ولكن هل تسلمون أننا مسجونون في الدنيا، كيف هذا؟

الجواب: أن السجن هو موضع تُقيد فيه حركتك، فلا تفعل ما تشاء، ولا

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، وأحمد (٣٧٠٩).

تنطلق إلى ما تشاء؛ هذه أريدها ممنوعة، هذه حرام، هذه مكروهة، هذه لا تفعل، هذه كذا.. هذا مقيد الحركة يريد أن يفعل كذا، ممنوع، يريد أن يذهب هنا، ممنوع.

فـ «**الدُّنْيا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ**»[1]، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وغيره ليس بمسجون فيها لأنه يفعل ما يشاء، أفعل هذه، أسرق هذه، أغتصب هذه، أقتل هذا، يفعل ما يشاء. لكن المؤمن تريد أن تفعل شيئا، ممنوع، من منعني؟ ربك، فتمتنع.

فإذا كانت سجنا لك، كيف تحبها؟ ألا تحب أن تفك أغلالك من هذا السجن الذي تُقيد فيه حركتك؟ فيا عجبا لك، تحب ما فيه سجنت!

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٤٨) وَتُطْعِمُكَ الطَّعَامَ وَعَنْ قَرِيبٍ سَتَطْعَمُ مِنْكَ مَا مِنْهَا طَعِمْتَا

هذا هو، أخذت منها فتأخذ منك، إلا أنك أخذت بعضها فتأخذك كلك. طعمت منها، وتفرح بالذي طعمته منها وهذه لذيذة خذ هذه، وجرب هذه، وهي أيضا ستفعل مثل ذلك بك، وعن قريب هي ستطعم منك.

فيا سائلي عن أُناسٍ مَضَوْا أما لَكَ فيما مضى مُعتبَرْ؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٤٩) وَتَعْرَى إِنْ لَبِسْتَ لَهَا ثِيَابًا وَتُكْسَى إِنْ مَلَابِسَهَا خَلَعْتَا

✍ قوله: «**وَتَعْرَى إِنْ لَبِسْتَ لَهَا ثِيَابًا**»، ستُعرّى من هذا الذي تلبسه، وستُلقى في حفرة في كفن، وربما لم يجدوا لأحدهم ما يُكفّن فيه، فيغطون بعض

(١) أخرجه البخاري (٢٩٥٦).

رجله أو بعض رأسه ما بدا من ذلك بحشيش وإذخر.

والقصد أن عملك يكون للدار التي لا تعرى فيها ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨﴾ [طه:١١٨].

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٥٠) وَتَشْهَدُ كُلَّ يَوْمٍ دَفْنَ خِلٍّ   كَأَنَّكَ لَا تُرَادُ بِمَا شَهِدْتَا

يعني هذا كله، العلم يوقظك إليه، يطرد عنك الغفلة عنه.

✍ قوله: «**وَتَشْهَدُ كُلَّ يَوْمٍ دَفْنَ خِلٍّ**»، الخِل: أشد الصاحب صحبة لك، الذي يُخالِلك، تتخلل مودته شغاف قلبك. وتراه وتقف على قبره، وتذرف الدموع على فراقه.. ثم تعود إلى ما كنت عليه من الغفلة.

✍ قوله: «**كَأَنَّكَ لَا تُرَادُ بِمَا شَهِدْتَا**»، كأن هذا الذي رأيته وعرفته وكنت فيه وشهدته؛ ينال غيركَ ويخطِئُك.

القَبرُ بابٌ وكلُّ الناسِ داخِلُه، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء:٧٨]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [العنكبوت:٥٧]. أسأل الله تعالى أن يحسن لنا الختام.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٥١) وَلَمْ تُخْلَقْ لِتَعْمُرَهَا وَلَكِنْ   لِتَعْبُرَهَا فَجِدَّ لِمَا خُلِقْتَا

٥٢) وَإِنْ هُدِمَتْ فَزِدْهَا أَنْتَ هَدْمًا   وَحَصِّنْ أَمْرَ دِينِكَ مَا اسْتَطَعْتَا

✍ قوله: «**وَلَمْ تُخْلَقْ لِتَعْمُرَهَا وَلَكِنْ لِتَعْبُرَهَا**»، لأنها ليست دار عمارة

ولكنها دار عبور.

أنت تدري أنك عابر، وهذا ستتركه لأنه محطة عبور، ستعبر منها إلى غيرها، وتعلم أن ذاك الذي تعبر إليه ستُطيل المكث فيه بل لن تنتقل عنه، ومع ذلك تشتغل بهذا الذي تعبر منه، وتلهو عن ذلك الذي تبقى فيه، وتزعم أنك من العاقلين! نسأل الله التوفيق.

وتعرفون هذا التوفيق أن من اشتغل في عمارة الآخرة؛ هذا إنسان عرف وعمل بالذي عرف، لزم الذي عرف، وآخر عرف ولم يلزم، هذا هو الخذلان! نعوذ بالله من الخذلان، ونسأل الله التوفيق.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَلَمْ تُخْلَقْ لِتَعْمُرَهَا وَلَكِنْ لِتَعْبُرَهَا فَجِدَّ**»، عليك بالجد، جدّ لما خُلقت له وهو عُبورها، وإعمار غيرها لا إعمارها وتخريب غيرها. وإن هُدمت فلا تشتغل بتشييد ما هُدم منها وتحصينه، هي بُنيت ليوم الهدم.

سيؤول أمرها إلى خراب، ولكن الذي تبنيه وتشتغل بتشييده وتجدّ في تحصينه هو أمر دينك.

✍ قوله: «**وَحَصِّنْ أَمْرَ دِينِكَ مَا اسْتَطَعْتَا**»، حصّنه. إياك أن تدع جدار دينك يُثلم وينهدم، ويكون فيه ما يُدخل عليك فيه الدواخل، حصّن أمر دينك، حصّنه من الشبه، حصنه من الشهوة، حصنه من الغفلة، حصّن أمر دينك ما استطعت لأن به نجاتك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٥٣) وَلَا تَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَ مِنْهَا   إِذَا مَـا أَنْـتَ فِي أُخْـرَاكَ فُزْتَـا

على أي شيء تحزن؟ تحزن على فائت؟ الذي فاتك منها مخلوف؛ ربنا سبحانه يُخلف لك في أخراك أعظم مما فاتك في دنياك.

عندما يخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن موضع سوط أحدنا في الجنة - اسأل الله تعالى أن نكون من أهلها- موضع سوط أحدنا خير من الدنيا وما فيها، هذه الدنيا التي تبكي على فوات شيء منها.

مرة لقيت رجل من علمائنا، فقلت له عظني[١]، فقال لي: «مهما سُبقتَ إلى شيءٍ فلا تُسبقنَّ إلى التَّقوى»، لا تدعهم يسبقونك في التقوى، ولكن في الدنيا سبقوك بالمال، بالدور، بالسيارات، بالأثاث، بالمتاع، بالنساء، لا يضيرك هذا الذي سُبقت به إن لم تُسبق في التقوى. جزاه الله خيرا من ناصح.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٥٤) فَلَيْسَ بِنَافِعٍ مَا نِلْتَ مِنْهَا   مِـنَ الفَـانِي إِذَا البَـاقِي حُرِمْتَـا

هذا هو المصيبة الكبرى يا إخواني!

مـا أجمـل الدينَ والدنيا إذا اجتمعا   وأقبحَ الكُفرَ والإفلاسَ في الرّجُلِ

ماذا يفيدك أن تملكها وتحوزها وتأوي بها إلى خِبائك وقد فاتتك الآخرة؟!

(١) القائل هو الشيخ سعيد الكملي حفظه الله.

لا والله، ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ﴾ [النساء:٧٧]، الدنيا كلها متاعها قليل!

فهب أنك حزتها جميعا وفاتتك الآخرة، والله للذي فاتك أعظم جدا من الذي حزته، ولو حزتها مذ خلقها ربك إلى أن طويت، لم يشاركك فيها أحد، وفاتتك الآخرة، خسارتك عظيمة جدا.

آخر ذا حظ في الجنة، كم حظه؟ عشرة أضعاف الدنيا. هذا الفقير المسكين، إن وُجِد فيها فقير مسكين، هذا آخر الناس حظا، أدونهم منزلة، له عشرة أضعاف الدنيا. يا رب نسألك الجنة.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٥٥) وَلَا تَضْحَكْ مَعَ السُّفَهَاءِ لَهْوًا   فَإِنَّكَ سَوْفَ تَبْكِي إِنْ ضَحِكْتَا

يا أبا بكر اشتغل بالعلم، وليحملك العلم على حسن السمت وعلى رفقة الصالحين، وعلى مصاحبة من إذا غفلت ذكَّرك وإذا جهلت علَّمك وإذا أسأت قوَّمك. لا تصاحب سفيها، السفيه الذي فيه الطيش، الذي فيه الخفة، الذي فيه الجهل، هذا لا تصاحبه، لأن ضحكك مع هذا السفيه سينقلب بكاء.

قال ربنا سبحانه: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧﴾ [الزخرف:٦٧]. يقول ربنا سبحانه على لسان إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ [العنكبوت:٢٥]، الأخلاء الذين كانوا لا يصبر أحدهم على فراق صاحبه، إذا لم يكن موضع خلّتهم التقوى، لعن بعضهم بعضا وصاروا أعداء، نسأل الله العافية.

ابن عطاء الله السكندري في تلك الحكم التي له يقول في ما يتعلق بهذا: «لا تصاحب من لا يُنهضك حاله، ولا يدلّك على الله مقاله».

تنهضك حاله؛ معناه إذا رأيته وكنت في حالة تقصير نهضت إلى حال الجد، وكنت في حالة غفلة انتقلت إلى حالة تذكرة، وكنت في حال الجهل انتقلت إلى حال التعلم والتعليم، هذا الذي ينهضك حاله. ويدلك على الله مقاله؛ إذا فعلت شيئا قال لك الله يهديك، اتق الله يا صاحبي وكذا وكذا.

إذا لم يكن صاحبك الذي بجنبك، الذي تؤاخيه وتلازمه إذا لم تكن تلك حليته، إذا لم تكن هذه صفته ماذا تريد به، هذا الجذام الحاضر، هذا العذاب القريب.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٥٦) وَكَيْفَ لَكَ السُّرُورُ وَأَنْتَ رَهْنٌ   وَلَا تَـدْرِي أَتُفْـدَى أَمْ غَلِقْتَـا

أنت تضحك مع السفهاء، لا يجدر بك أن تعاشرهم أو أن تضحك لأجل ما يضحكون به. ثم كيف أنت تضحك؟ أطلعت على ما يؤول إليه أمرك لتضحك؟ تضحك ملء شدقيك كأنك أمنت، ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ۝٩٩﴾ [الأعراف:٩٩].

رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يضحك وكان ضحكه التبسم، وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يضحكون ولكن ضحكهم ذاك لم يكن لِيُلهيهم عن ما يسيرون إليه وما يراد بهم.

تضحك؟ أنت مرهون، لا يُدرى أيفك رهنك أم تَغلَقُ في هذا الرهن! غلق

الرهن إذا لم يستطع صاحبه أن يفكه فأخذه المرتهن، هذا معنى قوله.

أو غَلِقت، لأن الرهن يغلق إذا لم يستطع صاحبه فكه، استنقاذه، فأخذه، أخذك الشيطان، الآن أنت مرهون فُكّ نفسك، فُكّ رقبتك، ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ مرهون أنت في الخسر، فُكاكك ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر:٣].

ما تدري هل تفك أم تَغلَق. لو فعلا قيل لك قد فك رهنك تُسر، لكن إن ضحكت وإن جاءك سرور تذكّر دائما أنك رهن لا تدري على أي شيء يكون المطلع، كانوا يستعيذون من هول المطلع.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٥٧) وَسَلْ مِنْ رَبِّكَ التَّوْفِيقَ فِيهَا وَأَخْلِصْ فِي السُّؤَالِ إِذَا سَأَلْتَا

وسل من ربك التوفيق في الدنيا، والتوفيق أن ييسر لك ربك امتثال ما عرفتَ من الخير، ويرزقك عَمَلَ عَمَلٍ بذلك الذي علمته.

الآن كلنا نعرف أن قيام الليل من أحب العبادات إلى الله، كم منا يقوم؟ من الذين يعرفون فضل هذه العبادة، ألسنا نعرف أن ربنا سبحانه ينزل في كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير فينادي؟

أين أنت حين ينزل ربك؟ أيجدك ربك من المستغفرين عندما يقول هل من مستغفر فأغفر له؟ أيجدك ربك من السائلين عندما يقول هل من سائل فأعطيه؟ أم يجدك من النائمين الذين لا يردون إلى ربهم جوابا! ما أقرب العقل من الجنون!

✍ قوله: «**وَأَخْلِصْ فِي السُّؤَالِ**»، أخلص في السؤال، لأن ربك سبحانه إنما يستجيب دعوتك إذا أخلصت له فيها. عملك كله إنما يقبله ربك ويثيبك عليه، وتترتب عليه ثمرته بشرط الإخلاص، وهذا شرط عسير.

روى البيهقي أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال فيما يرويه عن ربه عَزَّ وَجَلَّ: «**أَنَا خَيْرُ شَرِيكٍ، فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِي شَرِيكًا فَهُوَ لِشَرِيكِي**»، أنت تعمل عملا تريد به وجه الله، وتريد به أيضا الثناء بين الناس. أنت لست غافلا عن إرادة وجه الله، لكنك تريد معها شيئا آخر، قال الله فهو لشريكي، ثم قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا أيُّها النَّاسُ أخلِصوا أعمالَكم للهِ فإنَّ اللهَ لا يقبَلُ مِنَ الأعمالِ إلَّا ما خلَص له ولا تقولوا هذا للهِ وللرَّحِمِ فإنَّها للرَّحِمِ وليس للهِ منها شيءٌ ولا تقولوا هذا للهِ ولوجوهِكم فإنَّها لوجوهِكم وليس للهِ فيها شيءٌ**»(١).

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٥٨) وَنَادِ إِذَا سَجَدْتَ لَهُ اعْتِرَافًا ... بِمَا نَادَاهُ ذُو النُّونِ ابْنُ مَتَّى

✍ قوله: «**وَنَادِ إِذَا سَجَدْتَ لَهُ اعْتِرَافًا**» بالذي اصطفاك به لما جعلك من حملة شرعه، ومبلغي رسالته إلى خلقه، واعرف التقصير الذي تقابل به ربك على هذا الفضل العظيم، عندما تعترف بذلك ساجدا له، أُدعه بدعاء ذو النون يونس بن متّى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء:٨٧].

روى والترمذي من حيث سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٢٤).

قال: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»[1]، ادع بها وادع بعدها بما أردت، فيستجيب الله لك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٥٩) وَلَازِمْ بَابَـهُ قَـرْعًا عَسَـاهُ   سَـيَفْتَحُ بَابَـهُ لَـكَ إِنْ قَرَعْتَـا

كانوا يقولون:

أَخْلِقْ بذي الصبرِ أنْ يحظَى بحاجته   ومُدْمِـنِ القَـرْعِ للأبـواب أن يَلِجَا

تدمن قرع الأبواب، ستلج؛ لأن ربك أكرم من هؤلاء الذين تقرع أبوابهم وتدمن على قرعها، ويردونك.

ولذلك يقول الشيخ المكودي المغربي المشهور شارح الألفية وغيرها:

إذا عرضـــتْ لِيْ في زمانيَ حاجةٌ   وقد أشـكلتْ فيها عليَّ المقاصـدُ
وقفتُ ببابِ الله وقفةَ ضـــارعٍ   وقلتُ: إلهي إنني لكَ قاصـدُ
ولســتَ تراني واقفًا عندَ بابِ مَنْ   يقولُ فتاهُ: ســيّدي اليومَ راقدُ

هذا لا تراني واقف ببابه، إنما تراني أقرع باب ربي الذي لا يغفل عني ولا يمل كثرة طلبي، ولا يسأم إلحاحي، هذا ربي.

أسأل الله تعالى أن يغنينا بالافتقار إليه، والقرع لبابه، والنزول في فناء طاعته.

أسأل ربنا سبحانه أن يجعل حاجتنا إليه، وقصدنا إليه، ورغبتنا فيما عنده.

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٥).

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٦٠) وَأَكْثِرْ ذِكْرَهُ فِي الأَرْضِ دَأْبًا ... لِتُذْكَرَ فِي السَّمَاءِ إِذَا ذَكَرْتَا

✍ قوله: «وَأَكْثِرْ ذِكْرَهُ فِي الأَرْضِ دَأْبًا»، أدأب على ذلك[1]، لتُذكر في السماء إذا ذكرته أنت في الأرض.

هذا الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشير به إلى الحديث المعروف «**ما اجتمَعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله يتلونَ كتابَ الله، ويتدارسونَهُ فيما بينَهم، إلَّا نَزَلَتْ عليهمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ الله فِيمَن عِنْدَهُ**»[2].

وفي رواية: «**ما اجتَمَعَ قَومٌ يَذكُرون اللهَ**»[3].

اذكر ربك في الأرض لتُذكر في السماء، «**وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ**»[4]. أنت الرابح دائما.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٦١) وَلَا تَقُلِ الصِّبَا فِيهِ مَجَالٌ ... وَفَكِّرْ كَمْ صَغِيرٍ قَدْ دَفَنْتَا

إياك يا هذا، أن يضحك الشيطان عليك وتقول: أنا ما زلت في العشرين، وأنا ما زلت في الثلاثين، وحتى أشيب، وحتى أكبر.

---

(١) دأب فلانٌ على الشَّيءِ: لازمه واعتاده دون فتور، استمرّ وواظب عليه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٧٥).

من قال لك بأن تبقى حتى تصل إلى حتى؟ كم من صحيح مات من غير علة؟ وكم شهدت دفن صغير؟ فلا تقل الصبا فيه مجال، لو عرفت أن فيه مجال نعم، لكن أنى لك معرفة ذلك.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٦٢) وَقُلْ لِي يَا نَصِيحُ لَأَنْتَ أَوْلَى ... بِنُصْحِكَ لَوْ بِعَقْلِكَ قَدْ نَظَرْتَا

الكلام كان إلى أبي بكر، صار الكلام على لسان أبي بكر لهذا الناصح الذي هو أبو اسحق الإلبيري. كأنه يقول: هذا ما أستحقُ أن ترُدَّ به عليَّ بعد أن نصحتك هذا النصح.

يعني أنت تنصحني، مالي لا أرى نصيحتك فيك، وأراك خلوا من ذلك.

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ المُعَلِّمُ غَيْرَهُ ... هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ

تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السِّقَامِ وَذِي الضَّنَى ... كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمُ

وَتَراكَ تُصلِحُ بالرشادِ عُقولَنا ... طُرًّا وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَقِيمُ

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ ... عَارٌ عَلَيْك إذَا فَعَلْت عَظِيمُ

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٦٣) تُقَطِّعُنِي عَلَى التَّفْرِيطِ لَوْمًا ... وَبِالتَّفْرِيطِ دَهْرَكَ قَدْ قَطَعْتَا

يعني صنعت بي منذ أول القصيدة صُنعا عجيبا، تقطعني على التفريط، تشتد علي في التفريط، وهذا دأبك معي، دائما تصنع بي هذا الذي تصنعه، وأنت دهرك قطعته في التفريط، ماذا صنعت؟

بئس لقائل أن يقول هذا لمن ينصحه وإن رآه مفرطًا، لأنك تنتفع بنصحه ولا يضيرك تفريطه؛ تفريطه راجع عليه، ونصحه راجع إليك. فلا تغلق باب الانتفاع على نفسك بسبب الإفساد الذي يفسده هو على نفسه.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٦٤) وَفِي صِغَـرِي تُخَوِّفُنِـي المَنَايَـا   وَمَـا تَجْـرِي بِبَالِـكَ حِـينَ شِـخْتَا

✍ قوله: «**وَفِي صِغَرِي تُخَوِّفُنِي المَنَايَا**»، كان يقول له: «**وَلَا تَقُلِ الصِّبَا فِيهِ مَجَالٌ**»، تخوفني المنايا وأنا صبي وأنا شاب، وأنت لا تخافها وأنت شيخ هرم!

وهذا لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن ابن آدم يشيب منه كل شيء إلا اثنين: الحرص على الدنيا والأمل[1]. هو يعني ما فيه شيء يثبت، كله يرتعش، ويقول لك إن شاء الله إذا التقينا في الحج القادم صنعنا كذا وكذا.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٦٥) وَكُنْتَ مَعَ الصِّبَا أَهْدَى سَبِيلًا   فَمَا لَكَ بَعْدَ شَيْبِكَ قَدْ نُكِسْتَا

✍ قوله: «**وَكُنْتَ مَعَ الصِّبَا أَهْدَى سَبِيلًا**»، تجالس طلبة العلم، تبغي حلق الذكر، تنظر في سمت الصالحين، تجتهد في العبادة، تجتهد في بذل الخير ونفع المسلمين، كنت مجتهدا تريد ما عند الله وتتكلم عن الآخرة، فمالك أصابتك هذه الانتكاسة؟

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٢٠)، ومسلم (١٠٤٦) بلفظ: «**الشيخِ شابٌّ في حُبِّ اثنتَيْن: طُولِ الحياةِ، وكثرةِ المالِ**».

أعوذ بالله من الحور بعد الكور. كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يعوذ بالله من السلب بعد العطاء، أن تُعطى الهداية ثم تُسلبها(١).

وما سلبك إياها كان ظلما لك من ربك، ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [الروم:٤١] بما كسبت أيدي الناس! ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت:٤٦]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال:٥٣].

إذا انتكست، بما كسبت يداك. أحيانا بماذا تُصيب الانتكاسة؟ بأن يسند الإنسان الخير الذي فيه إلى نفسه، وينسى أن ربه سبحانه يقول فيما أخبر رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في حديث رواه مسلم: «**يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْته**»(٢).

فمن اهتدى فالله هداه، فالفضل منه ابتداء والفضل منه انتهاء سبحانه وتعالى.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٦٦) وَهَا أَنَا لَمْ أَخُضْ بَحْرَ الخَطَايَا　　　كَمَا قَدْ خُضْتَهُ حَتَّى غَرِقْتَا

لأنك كبرت وشخت فخوضك في البحر أطول مني، بل أنت غرقت في بحر الخطايا، أنا بعد لا.

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٦٧) وَلَـمْ أَشْرَبْ حُمَيَّـا أُمِّ دَفْـرٍ   وَأَنْـتَ شَرِبْتَهَـا حَـتَّى سَـكِرْتَا

✍ قوله: «وَلَمْ أَشْرَبْ حُمَيَّا أُمِّ دَفْرٍ»، الحميا ثورة الكأس عندما يأخذ الخمر برأس شاربه، يقولون أخذته حُميا الخمر إذا أذهبت عقله.

والدفر النتن، أي الريح المنتنة، وأم دفر كنية المصيبة، المصيبة تلقبها العرب بأم دفر، ولقبت بها الدنيا لكثرة ما فيها من المصائب.

فقال: وأنت شربت حميا أم دفر، واستغرقت في شربها حتى أسكرتك، أنا بعد لم أصنع مثل ذلك. يعني القصد يقول له: أنت أولى بهذا النصح الذي تنصحني، لأن حالك أحوج إليه من حالي، حالك هي كذا وكذا وكذا، أنا لم أبلغ بعد هذا الذي بلغتَ إليه، فأنت أولى بنصحك.

هذا لا يجمل بمنصوح أن يقابل ناصحه بمثل هذا، ولو كان يرى فيه التقصير، لأن مواجهته بمثل هذا، تحبس عليه باب الانتصاح؛ لن ينصحه بعد أحد، لأن كل ناصح له سيخاف أن يلقاه بالسوء الذي لقي به هذا، فأغلق على نفسه باب الخير.

فالنصيحة باب خير لا يضرك سماعها فاسمعها، إن شئت فأفعلها وإن شئت فألقها وراء وراء، لكن دع الباب مفتوحا يصلك منه خير.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٦٨) وَلَمْ أَحْلُلْ بِوَادٍ فِيهِ ظُلْمٌ　　　وَأَنْتَ حَلَلْتَ فِيهِ وَانْهَمَكْتَا

ما زال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يورد على لسان أبي بكر تلك المقابلات كأنه يقول لأبي بكر: يا أبا بكر، لما نصحتك يحق لك أن تقول لي: قطّعتني بالنصح وأنت أولى بالتقطيع.

أنت حللت ولم أحلل أنا بواد فيه ظلم؛ لم أظلم أحد وأنت حللت بذلك الوادي وانهمكت فيه، ولججت فيه، وأوغلت فيه، وجددت فيه، فكيف هذا العاري عن الظلم ينصحه الظلوم، أنت أولى بأن تُنصح.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٦٩) وَلَمْ أَنْشَأْ بِعَصْرٍ فِيهِ نَفْعٌ　　　وَأَنْتَ نَشَأْتَ فِيهِ وَمَا انْتَفَعْتَا

عصري أنا هذا الذي تعلمه لا نفع فيه، وعصرك أنت كان فيه النفع، فما شأنك لم تنتفع؟! وينبغي أن يغتنم كل من نشأ في عصر فيه نفع، أن ينتفع وأن لا يُضيّع.

إذا نشأت في عصر أو كنت في مصر أو تيسرت لك أسباب أن تعاشر الصالحين وأهل الخير، والعلماء، وحفظة القرآن، والمهتمين بذلك كله، فاغتنم. فإنك لا تدري ما يُحدِث الدهر إذا دار دورته، لا تدري ما تأتي لك به الأيام، ما تدري ما تتمخض لك به الأيام. فانتفع إذا وجد في زمنك وفي مصرك وفي عصرك من تنتفع به، وإلا فستعظم حسرتك وستعض أصابعك من الندم.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٧٠) وَقَدْ صَاحَبْتَ أَعْلَامًا كِبَارًا وَلَمْ أَرَكَ اقْتَدَيْتَ بِمَنْ صَحِبْتَا

هذا عصرك الذي كان فيه النفع، وكان فيه الأعلام الكبار، ولم أرك تقتدي بواحد منهم ولا انتفعت بصحبتهم. وهذا ينبئكم أن الصحبة الحسنة مؤثرة؛ صحبة الفجار تعين على الفجور وتسهله وتيسره وتحقره في نظر آتيه، وصحبة الصالحين تعظم الحقير من الذنب، وتجعل صاحبه لا ينام من كثرة تبكيته لنفسه، وتسفيهه لها، وتوبيخه إياها.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٧١) وَنَادَاكَ الكِتَابُ فَلَمْ تُجِبْهُ وَنَهْنَهَكَ المَشِيبُ فَمَا انْتَبَهْتَا

✍ قوله: «**وَناداكَ الكِتابُ فَلَم تُجِبهُ**»، كأنك لست معنيا بنداءات ربك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الحشر:١٨]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم:٦]، ناداك الكتاب نداء ثم ناداك آخر، فلم تجب شيئا.

✍ قوله: «**وَنَهْنَهَكَ المَشِيبُ**»: وأنذرك. قال طائفة من أهل التفسير في قول ربنا سبحانه: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾ [فاطر:٣٧]، النذير قالوا الشيب، ينبئك أنك تدنو من نهاية رحلتك، وبعد الشيب يأتيك الضعف في القوة، ويأتيك العشى في البصر، ويأتيك الثقل بالسمع، ويأتيك ما يأتي أهل سنك، كل ذلك ينذرك أن بناءك يتضعضع، ولا ينهنك شيء من ذلك؟! ولا يزجرك شيء من ذلك؟!

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٧٢) لَيَقْبُحُ بِالفَتَى فِعْلُ التَّصَابِي   وَأَقْبَحُ مِنْهُ شَيْخٌ قَدْ تَفَتَّى

✍ قوله: «**لَيَقْبُحُ بِالفَتَى فِعْلُ التَّصَابِي**»، الفتى يقبح منه فعل التصابي، فعل الجهالة والطيش والميل إلى اللهو والغزل، هذا قبيح من الفتى. وأقبح من هذا شيخ تفتى، شيخ يتصابى، شيخ يفعل أفعال الفتيان من اللهو والطيش والحمق والميل إلى الغزل، وأنت شيخ وأنذرك النذير، لكن «**إذا لَمْ تَسْتَحْيِ فاصْنَعْ ما شِئْتَ**»(١)، إذا لم يحملك هذا الذي ظهر في لحيتك، وإذا لم ينهك هذا الشيب الذي خط رأسك ولحيتك فما الذي ينهاك، ومتى تنتهي؟

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٧٣) فَأَنْتَ أَحَقُّ بِالتَّفْنِيدِ مِنِّي   وَلَوْ سَكَتَ المُسِيءُ لَمَا نَطَقْتَا

فأنت بعد هذا الذي ذكرت لك أنت أحق بالتفنيد مني؟ التفنيد: التسفيه، تضعيف الرأي واللوم والتوبيخ.

✍ قوله: «**وَلَوْ سَكَتَ المُسِيءُ لَمَا نَطَقْتَا**»، ولو سكت المسيء لكنت أولى الناس بالسكوت، لما نطقت، لأجل إساءتك التي عددتها عليك. ولكنك جئت بهذه الإساءة كلها التي تصغر أمامها سلاسل جبال الأرض ومع ذلك تنصحني وتفندني وتقطعني بالنصيحة.

يعني القصد أنه يقول له، يا أبا بكر يحق لك أن تقول لي هذا كله لو أردت.

(١) أخرجه البخاري (٦١٢٠).

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٧٤) وَنَفْسَكَ ذُمَّ لَا تَذْمُمْ سِوَاهَا　　　بِعَيْبٍ فَهْيَ أَجْدَرُ مَنْ ذَمَمْتَا

✍ قوله: «وَنَفْسَكَ ذُمَّ لَا تَذْمُمْ سِوَاهَا»، نفسك نفسك ذُم، لأن هذا يعيش في بلدك الذي تعيش فيه، وفي دارك الذي تعيش فيه، وتقع عينه على مثل ما تقع عليه عينك، فما شأنه استقام وعجزت؟ فما شأنه اهتدى ونكست؟ فما له رشد وضللت؟ هذا حجة عليك، ولذلك قال الأول:

نَعيبُ زَمانَنا وَالعَيبُ فينا　　　وَما لِزَمانِنا عَيبٌ سِوانا

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٧٥) فَلَوْ بَكَتِ الدِّمَا عَيْنَاكَ خَوْفًا　　　لِذَنْبِكَ لَمْ أَقُلْ لَكَ قَدْ أَمِنْتَا

فلو بكت الدماء عينك من الخوف؛ لم تبك دموعا، بل بكيت دموع عينيك حتى نفدت، ثم بكيت الدم في العروق ندما على ما فرط منك، لم أقل لك قد أمنت، لأنك حللت بوادي فيه ظلم، وشربت حميا أم دفر، وصنعت وفعلت. قطّعت عمرك، قطعت دهرك ذنوبا، لو بكيت دما ندما وتوبة، ما جزمت لك أنك قد أمنت.

كيف وأولي العزم من الرسل خائفون؟ وهؤلاء خير خلق الله على الإطلاق، حتى منهم من لم يذكر ذنبا ويفزع، فكيف وأنت صنعت كذا، وصنعت كذا. أسأل الله أن يتولانا برحمته، الله يرحمنا.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٧٦) وَمَنْ لَكَ بِالأَمَانِ وَأَنْتَ عَبْدٌ　　　أُمِـرْتَ فَمَـا ائْتَمَـرْتَ وَلَا أَطَعْتَـا

من يأتي لك بالأمان؟! من يؤمنك؟! ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾ [هود:٤٣]، إلا مَن رَحِمَه الله فيعصمه. من يؤمنك؟! أين المهرب من الله؟! «**لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنجَى منْكَ إلَّا إلَيْكَ**»(١)، ففروا إلى الله، كيف تفرون منه؟ تفرون منه إليه، فإن كنت وأنت عبد أمرت فما أطعت ولا امتثلت! كيف لك بالأمان؟ من يؤمنك إذا أصابك بطش ربك وبأسه؟ نسأل الله العافية.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٧٧) ثَقُلْتَ مِنَ الذُّنُوبِ وَلَسْتَ تَخْشَى　　　لِجَهْلِـكَ أَنْ تَخِـفَّ إِذَا وُزِنْتَـا

ثقُلت من الذنوب التي تحملها فوق ظهرك، ولعلك تحمل ذنوب غيرك مع ذنوبك ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ١٣﴾ [العنكبوت:١٣]. ثقُلتَ من الذنوب، ولست تدري من جهلك أنك تخف، وأنك تطيش، لا حسنات لك يثقل بها كفة حسناتك إذا وزنت.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٧٨) وَتُشْفِقُ لِلْمُصِرِّ عَلَى المَعَاصِي　　　وَتَرْحَمُـهُ وَنَفْسَـكَ مَـا رَحِمْتَـا

ما هذا القياس الغريب؟! ما هذه الرحمة العجيبة؟! ما هذا الاختلال في الميزان؟! تشفق على المصر على المعاصي؟ تشفق عليه ونفسك أولى بالشفقة، وثمرة

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).

الشفقة أن تنزجر عن هذا الذي تزجرني عنه. يحق لك أن تقول ذلك كله يا أبا بكر.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٧٩) **رَجَعْتَ الْقَهْقَرَى وَخَبَطْتَ عَشْوَا ... لَعَمْـرُكَ لَـوْ وَصَـلْتَ لَمَـا رَجَعْتَـا**

✍ قوله: «**رَجَعْتَ الْقَهْقَرَى**»، لما كنت شابا كنت أهدى سبيلا، فأنت لما كبرت نُكست، هذه القهقرى، رجعت وراء، رجعت القهقرى.

✍ قوله: «**وَخَبَطْتَ عَشْوَا**»، خبطت كما تخبط الناقة العشواء؛ الناقة العشواء التي في بصرها ضعف لا تتوقى شوكا ولا حجارة ولا وهدة ولا حفرة، هي تخبط، تخوض برجليها وتضرب برجليها من غير إدراك لها أين تضع أخفافها. فأنت تخبط كخبط العشواء، كخبط ناقة بها عشى لا تتوقع مكروها ولا محرما ولا شيئا.

✍ قوله: «**لَعَمْرُكَ لَوْ وَصَلْتَ لَمَا رَجَعْتَا**»، والله لو أنك وصلت ما رجعت، أين تصل؟ لو وصلت إلى الإيمان وخالط قلبك وتخلل شغافه، ما رجعت.

ألم يسأل هرقل أبا سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هدنة الحديبية فقال هرقل وهو يسأله تلك الأسئلة المعروفة: «**فهَلْ يرتَدُّ أحدٌ مِنهُم سَخْطةً لدينِه؟** أي: **بُغْضًا للإسلامِ وكَراهيةً له ونُفورًا منه؟ فأجابَه: لا**»، فلما كان يفسر له أسئلته قال: «**وَسَأَلْتُكَ: أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ: لاَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ**»[1].

(١) أخرجه البخاري (٧).

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٨٠) وَلَوْ وَافَيْتَ رَبَّكَ دُونَ ذَنْبٍ وَنَاقَشَكَ الحِسَابَ إِذًا هَلَكْتَا

الآن أنت توافي ربك، تقدم عليه، وقد خضت في لجج الظلم، وقد فعلت وفعلت وفعلت! كيف يكون القدوم على ربك! يقول: لو أنك قدمت على ربك ولا ذنب عليك؛ لك طاعات من غير معصية، لما وافت الطاعات التي أتيت بها بنعم الله التي أتاك هو بها، فالطاعات أُخِذَت كفاء للنعم وما كافئت، فبقيت هذه الجبال بالخطايا التي تأتي بها. ومن نوقش الحساب عُذّب. أسأل الله العافية.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٨١) وَلَمْ يَظْلِمْكَ فِي عَمَلٍ وَلَكِنْ عَسِيرٌ أَنْ تَقُومَ بِمَا حَمَلْتَا

ولم يظلمك سبحانه «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي**»(١)، لم يظلمك في عملك، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت:٤٦].

ومن عدله أنه يقول لعبده ذاك الذي يأتي بالمصائب، فيقول العبد: أني لا أجيز اليوم إلا شاهدًا مني، لا تأتني يا ربي بشاهدٍ يقول: أنا رأيتك فعلت كذا. فأنا أردُّ شهادتهم ولا أقبلهم، ولا أجيز إلا شاهدًا مني. فيختم الله على فمه ويُنطق جوارحه ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢٤﴾ [النور:٢٤]، فيقول بعدًا لكم إنما كنت أدافع عنكم، والشاهد هو ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت:٤٦]. إن عفى فبفضله، وإن عذّب فبعدله، نسأل الله العفو.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٨٢) وَلَوْ قَدْ جِئْتَ يَوْمَ الفَصْلِ فَرْدًا وَأَبْصَـرْتَ المَنَـازِلَ فِيـهِ شَـتَّى

ولو وافيته يوم القيامة فردا، وربنا يقول سبحانه: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ۝٩٥﴾ [مريم:٩٥]، ولو -وهي حاصلة- هكذا سيكون؛ لن تغني عنك شيعتك ولا قبيلتك ولا أمك ولا أبوك.

✍ قوله: «وَأَبْصَرْتَ المَنَازِلَ فِيهِ شَتَّى»، وأبصرت منازل الناس فيه شتى، بعضهم فوق بعض، ﴿لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [الزمر:٢٠]. أبصرت هذه المنازل ورأيت نفسك إما خارجًا عن هذا الأمر بالكلية لأجل ما اقترفت يداك من المعاصي، أو رأيت نفسك بسبب رحمة الله لك في أدون مراتبها. في الحالتين يتقطّع (القلب) ترى من هو دونك في الدنيا وكنت أقدر منه على البذل وعلى الخير وعلى الطاعة، هو فوقك وأنت تحته، أو هو دخل وأنت مُنعت، أسأل الله العافية.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٨٣) لَأَعْظَمْتَ النَّدَامَـةَ فِيهِ لَهْفًا عَلَى مَـا فِي حَيَاتِـكَ قَـدْ أَضَـعْتَا

ثم؟ وهل ينفعك ندمك؟!

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٨٤) تَفِـرُّ مِـنَ الهَجِـيرِ وَتَتَّقِيـهِ فَهَـلَّا عَـنْ جَهَـنَّمَ قَـدْ فَرَرْتَـا

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ

﴿٨١﴾ [التوبة:٨١].

✍ قوله: «**تَفِرُّ مِنَ الهَجِيرِ**»: الهجير والهاجرة وسط النهار عند اشتداد الحر، تفر منه وتتقيه وتبعد عنه وتبحث عن التكييف والظل والماء إلى آخره، وجهنم -نسأل الله العافية- هي أشد حرا لماذا لم تفر منها؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٨٥) وَلَسْتَ تُطِيقُ أَهْوَنَهَا عَذَابًا ... وَلَوْ كُنْتَ الحَدِيدَ بِهَا لَذُبْتَا

وهكذا كان الصالحون، يصوم أحدهم في اليوم الشديد الحار، فإذا جاءه أحدٌ يقول له ويحك لماذا تصوم هذا اليوم؟ يقول ليوم أشد منه حرا، يفرون من نار جهنم.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٨٦) فَلَا تُكْذِبْ فَإِنَّ الأَمْرَ جِدٌّ ... وَلَيْسَ كَمَا حَسِبْتَ وَلَا ظَنَنْتَا

✍ قوله: «**فَلَا تُكْذِبْ فَإِنَّ الأَمْرَ جِدٌّ**»، لا تقل لي كل هذا الذي جئتني به كذب، لا، الأمر جد ليس كما ظننت ولا كما حسبت أنه ليس بالجد.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٨٧) «أَبَا بَكْرٍ» كَشَفْتَ أَقَلَّ عَيْبِي ... وَأَكْثَرَهُ وَمُعْظَمَهُ سَتَرْتَا

رجع الكلام إلى أبي إسحاق، بعد ما يمكن أن يقوله أبو بكر، لو شاء أبو بكر أن يقول.

رجع الكلام إليه، قال: يا أبا بكر كل ما ذكرته فيَّ، هذا أقل عيب، وأكثره ومعظمه سترته؛ يعني: صدقت فيما قلت ولو زدت لصدقت أيضا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٨٨) فَقُلْ مَا شِئْتَ فِيَّ مِنَ الْمَخَازِي وَضَـاعِفْهَا فَإِنَّـكَ قَـدْ صَـدَقْتَا

قل ما شئت أن تقوله، ثم بعد أن تقول ما شئت زده ضعفا وتكون صادقا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٨٩) وَمَهْمَا عِبْتَنِي فَلِفَرْطِ عِلْمِي بِبَـاطِنَتِي كَأَنَّـكَ قَـدْ مَـدَحْتَا

✍ قوله: «**ومهما عبتني**»، مهما ذكرت فيَّ من العيب ومن المخازي ومن المساوئ، فلأجل أني أعلم بباطني منك، فكأنك كنت تمدحني، لأن الذي خُبئ عنك أعظم من الذي رأيته.

أنا أستبعد أن يكون هذا الذي يقوله على جهة الحقيقة؛ أبو إسحاق الإلبيري رجل وصفه من عَرَفه بأنه كان زاهدا عالما فقيها، لكنه يقول ذلك هضما لهذه النفس التي دائما تحب أن تشرئب وتتشوف وتتطاول، انقمعي أنت، كلك فيك الخزي، وفيك المخازي، وفيك السوء، وفيك التقصير، وفيك... وفيك. هكذا كان الناس.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٩٠) فَلَا تَرْضَ الْمَعَايِبَ فَهْيَ عَارٌ عَظِـيمٌ يُـورِثُ الْإِنْسَـانَ مَقْتَـا

✍ قوله: «**فَلَا تَرْضَ الْمَعَايِبَ**»، يعني وإن وصفتني بهذا الذي وصفتني به وصدقت، والذي ذكرت أعظم منه الذي لم تذكره، وما اطلعت عليه قليل في جنب ما لم تطلع عليه، ومع ذلك فخذ بنصيحتي ولا تصر على المعايب فإنها تورِّث المقت، والمقت: أشد البغض.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٩١) وَتَهْوِي بِالوَجِيهِ مِنَ الثُّرَيَّا ... وَتُبْدِلُهُ مَكَانَ الفَوْقِ تَحْتَا

المعاصي تنزل بالوجيه تحطه من الثريا، والثريا نجم تعرفه العرب تراها الناس وكنت فوقها، بفعلك المعصية أبدلتك بفوقك تحتًا، أترضى ذلك لنفسك!

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٩٢) كَمَا الطَّاعَاتُ تَنْعَلُكَ الدَّرَارِي ... وَتَجْعَلُكَ القَرِيبَ وَإِنْ بَعُدْتَا

المعاصي تنزلك من الثريا، والطاعات ترفعك إليها، بل تجعلها نعلك، فتنعلك الدراري، والدراري جمع الدري، والدري الكوكب المضيء، ثم العرب أيضًا كانت تسمي الكواكب العظام التي لا تعرف أسمائها تسميها الدراري، فالطاعات ترفعك لا إلى حيث يراك الناس، بل إلى حيث لا يرونك من شدة الارتفاع، حتى تصير الدراري -الكواكب العظام العالية- تصير نعالًا لك، أي رفعةٍ أعظم من هذه بالطاعات.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٩٣) وَتَنْشُرُ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا جَمِيلًا ... فَتَلْقَى البِرَّ فِيهَا حَيْثُ كُنْتَا

يكون لك حسن الأحدوثة، يكون لك طيب الذكر حيث ما ذهبت وحيث ما حللت وحيث ما ارتحلت، تركت ذكرًا طيبًا هي هذه الطاعات، ويجدونك برًا ورجلًا صالحًا، وتلقى البِر من الناس؛ لأن ربنا سبحانه جعل لك الود في قلوبهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ٩٦﴾ [مريم: ٩٦].

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٩٤) وَتَمْشِي فِي مَنَاكِبِهَا كَرِيمًا وَتَجْنِي الحَمْدَ مِمَّا قَدْ غَرَسْتَا

تمشي في مناكبها في فجاجها وسبلها كريمًا وتجني الحمد لأنك غرستَ ما يكون جناه الحمد.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٩٥) وَأَنْتَ الآنَ لَمْ تُعْرَفْ بِعَابٍ وَلَا دَنَّسْتَ ثَوْبَكَ مُذْ نَشَأْتَا

وأنت الآن لم تعرف بعاب، والعاب هو العيب، وأنت الآن لم تعرف بعاب ولا دنست ثوبك بالخطايا، فابق على هذه الهيئة النظيفة من الدنس، لا تخض فيما خضت فيه أنا من لجج الظلم، لا تصنع الذي صنعت، كن على هذا الثوب الجميل الطاهر تلقى به ربك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٩٦) وَلَا سَابَقْتَ فِي مَيْدَانِ زُورٍ وَلَا أَوْضَعْتَ فِيهِ وَلَا خَبَبْتَا

✍ قوله: «وَلَا سَابَقْتَ فِي مَيْدَانِ زُورٍ» بعيد عن الزور أنت.

✍ قوله: «وَلَا أَوْضَعْتَ فِيهِ وَلَا خَبَبْتَا» ولا أوضعت، الإيضاع: نوع من المشي فيه سرعة، وخببتا: الخبب أيضًا نوع من المشي فيه سرعة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٩٧) فَإِنْ لَمْ تَنْأَ عَنْهُ نَشِبْتَ فِيهِ وَمَنْ لَكَ بِالخَلَاصِ إِذَا نَشِبْتَا

فإن لم تنأ عنه ولم تبعد عنه ولم تجعل بينك وبينه بونًا، نشبت فيه، أي علقت

فيه. ويقول القائل: أُجَرِّب، من لك بالخلاص بأنك لا تعتاد إذا جربت؟ وكيف لك الخلاص إذا اعتدت؟ ومن لك بالخلاص إذا نشبت؟

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٩٨) وَدَنَّسَ مَا تَطَهَّرَ مِنْكَ حَتَّى   كَأَنَّكَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا طَهُرْتَا

نشبت في معاصيه ودنس ذلك الثوب الطاهر الذي كان لك لأنك لم تخض بحر الخطأ، ودنس ما تطهر منك حتى كأنك ما كنت قط طاهرًا.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

٩٩) وَصِرْتَ أَسِيرَ ذَنْبِكَ فِي وَثَاقٍ   وَكَيْفَ لَكَ الفَكَاكُ وَقَدْ أُسِرْتَا

هذا شؤم بعض الذنوب أنه يصعب الانفكاك من وثاقها، فالأنجى لك ألا تقربقا.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

١٠٠) وَخَفْ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ وَاخْشَ مِنْهُمْ   كَمَا تَخْشَى الضَّرَاغِمَ وَالسَّبَنْتَى

✍ قوله: «وَخَفْ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ وَاخْشَ مِنْهُمْ» الشيخ يأمرك أن تتوقا أهل جنسك أن تحذرهم هو لا يمنعك من مخالطتهم، لكن خالطهم حاذرًا منهم، رجلٌ يقول: احذر عدوك مرةً واحذر صديقك ألف مرة، فلربما انقلب الصديق فكان أعلم بالمضرة، لا يصل إليك عدوك بالذي يصل به إليك صديقك لو انقلب عدوًا.

✍ قوله: «كَمَا تَخْشَى الضَّرَاغِمَ وَالسَّبَنْتَى»، اخشاهم واحذرهم كما تحذر الضراغم، والضراغم جمع الضرغام، والضرغام الأسد الضاري، ليس كل أسدٍ

ضرغامًا، بل الأسد الضاري الشديد الجرأة هذا الضرغام.

والسبنتى: هو السبع، أو هو النمر يطلق عليهما السبنتى، فر من أهل زمانك واحذرهم وخف منهم واخشهم كما تخشى الضرغام.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

١٠١) وَخَـالِطْهُمْ وَزَايِلْهُـمْ حِـذَارًا وَكُـنْ كَـ «السَّـامِرِيِّ» إِذَا لُمِسْـتَا

✍ قوله: «**وَخَالِطْهُمْ وَزَايِلْهُمْ**» زايله إذا جانبه وابتعد عنه، تخالطهم وتزايلهم، أنت حين مخالطتك لهم تكون مزايلًا لهم كيف يكون هذا؟ أثناء خلطتك بهم تكون مجانبًا لهم، هذا أثر مرويٌّ عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**خالط الناس وزايلهم**»[(١)]، يعني إذا أحسنوا أحسنت معهم المخالطة، وإذا أساؤوا لم تسئ معهم للمزايلة حذارًا.

✍ قوله: «**وَكُنْ كَالسَّامِرِيِّ إِذَا لُمِسْتَا**» لَمستا أو إذا لُمستا يصحان معنى، لما قال له ربنا سبحانه فيما يحكي عن موسى: ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [طه: ٩٧]، قالوا إنه ابتلاه ربه سبحانه بالحمى فكان إذا لُمس أو لَمس اشتدت حماه، حمى اللامس والملموس يقول لا مساس، لا أَمس ولا أُمس، هكذا تصنع مع أبناء جنسك، حاذرهم خالطهم وزايلهم، وكن كالسامري لا أمسك ولا تمسني.

(١) انظر: العزلة للخطابي (ص ٩٩).

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

١٠٢) وَإِنْ جَهِلُوا عَلَيْكَ فَقُلْ سَلَامًا   لَعَلَّـكَ سَـوْفَ تَسْـلَمُ إِنْ فَعَلْتَـا

قال أحدهم: إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنى أصبت حليمًا أو أصابك جاهل، فلذلك زايل، المزايلة تجعل الحليم منك في مأمن، وتجعلك في مأمنٍ من الجاهل السفيه، «**لَعَلَّكَ سَوْفَ تَسْلَمُ إِنْ فَعَلْتَا**» إياك أن يستجريك جهله فتجهل فوق جهله.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

١٠٣) وَمَنْ لَكَ بِالسَّلَامَةِ فِي زَمَانٍ   يَنَـالُ العُصْـمَ إِلَّا إِنْ عُصِـمْتَا

ومن لك بالسلامة في زمان ينال الشر فيه العصم، العصم الوعول في رؤوس الجبال، الوعل في رأس جبل ويناله الناس، هؤلاء الخلان ينالونه بشر وكيف وأنت تخالطهم وتعيش معهم وتصبح وتمسي معهم، كيف هذا، كيف تطمع بالسلامة منهم.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

١٠٤) وَلَا تَلْبَـثْ بِـحَيٍّ فِيـهِ ضَـيْمٌ   يُمِيـتُ القَلْـبَ إِلَّا إِنْ كُبِلْتَـا

✍ قوله: «**وَلَا تَلْبَثْ بِحَيٍّ فِيهِ ضَيْمٌ**» لا تقم بحيٍ فيه ضيم، وفي روايةٍ: فيه ظلم، إلا إن كُبِّلت، إلا إن قُيِّدت بالكبل، والكبل هو القيد من حديد، كَبَّله أي قيده بالكبل، إن كُبلت في ذلك الحي الذي ينالك فيه الضيم والظلم فابقى فيه وإن لم تكن مكبولًا مكبلًا فلا تبقى فيه، لأي شيءٍ تبقى فيه؟

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

١٠٥) وَغَـرِّبْ فَالغَرِيـبُ لَهُ نَفَـاقٌ وَشَرِّقْ إِنْ بِرِيقِـكَ قَـدْ شَرِقْتَـا

✍ قوله: «وَغَرِّبْ» أي اسلك طريق الغرب طريق المغرب فالغريب له نفاق له رواج.

✍ قوله: «وَشَرِّقْ إِنْ بِرِيقِكَ قَدْ شَرِقْتَا» إن شرقت بريقك، إن غصصت بريقك فشرق، لا تبقى في موضع في كل حينٍ تشرق فيه بريقك.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

١٠٦) فَلَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا خُمُولًا لَأَنْـتَ بِهَـا الأَمِـيرُ إِذَا زَهِـدْتَا

ليس الزهد الخمول، تريد أن يظهر عليك من تضعضع الحال ومن سوء المظهر وخشان الملبس، خشونة الملبس هذا ليس زهدًا.

الزهد من أعمال القلوب، قد تلبس المرقع ويكون قلبك مملوءًا كبرًا، وقد تجلس على الحشايا وتركب الجياد مسوماتٍ وتنتعل الدراري وتكون أزهد الناس، لا تبالي بها إن أقبلت أو أدبرت، أنت ثابت في طاعة ربك حين إقبالها وحين إدبارها، لأنك تعلم أنه لا يأتيك منه إلا ما كتب الله عليك، فأنت مع المسبب لا مع الأسباب وهذه في الحقيقة مقامات عاليةٌ جدًا.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

١٠٧) وَلَوْ فَوْقَ الأَمِيرِ تَكُونُ فِيهَا سُـمُوًّا وَافْتِخَـارًا كُنْـتَ أَنْتَـا

أنت يا طالب العلم الذي زهدت لو كان أحدًا فوق الأمير لكنت أنت

لأجل تلك الصفة التي فيك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

١٠٨) وَإِنْ فَرَّقْتَهَا وَخَرَجْتَ مِنْهَا   إِلَى دَارِ السَّلَامِ فَقَدْ سَلِمْتَا

القصد بأن تفارقها بقلبك لا تعض عليها بنواجذك، أنت خلقت لتعبرها ولم تخلق لتعمرها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

١٠٩) وَإِنْ كَرَّمْتَهَا وَنَظَرْتَ فِيهَا   بِإِجْلَالٍ فَنَفْسَكَ قَدْ أَهَنْتَا

هذه الدنيا قال لك ووصفها لك، تسرك حقبةً وتسؤك أخرى.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

١١٠) جَمَعْتُ لَكَ النَّصَايِحَ فَامْتَثِلْهَا   حَيَاتَكَ فَهْيَ أَفْضَلُ مَا امْتَثَلْتَا

جمع لك النصائح ومحضها وأخلصها فامتثلها، ولا تمتثلها اليوم وتتركها غدًا، ولا تمتثلها هذا الشهر وتتركها باقي الأشهر، امتثلها في حياتك كلها، هي أفضل ما امتثلت لأنها تفضي بك إلى رضوان ربك.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

١١١) وَطَوَّلْتُ العِتَابَ وَزِدْتُ فِيهِ   لِأَنَّكَ فِي البَطَالَةِ قَدْ أَطَلْتَا

وفي الحقيقة هو وإن طول العتاب فإنه كان عتابًا نافعًا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ٣٧﴾ [سورة ق:٣٧].

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

١١٢) فَلَا تَأْخُذْ بِتَقْصِيرِي وَسَهْوِي وَخُـذْ بِوَصِـيَّتِي لَـكَ إِنْ رَشَـدْتَا

لا تأخذ بتقصيري، لا يضررك تقصيري، لكن خذ بنصحي ينفعك نصحي، اسمع لقولي وإن قصرت في عملي ينفعك قولي ولا يضرك تقصيري.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

١١٣) وَقَـدْ أَرْدَفْتُهَـا سِـتًّا حِسَـانًا وَكَانَـتْ قَبْـلَ ذَا مِئَـةً وَسِـتًّا

رحمه الله على المئة والستة وعلى البيت الذي أردف.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

١١٤) وَصَلِّ عَلَى تَمَامِ الرُّسْلِ رَبِّي وعِتْرَتِـهِ الكَرِيمَـةِ مَـا ذُكِرْتَـا

اللهم صل على محمد وعلى آل محمدٍ، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على آل إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد، ونسأل ربنا سبحانه أن يغفر لأبي إسحاق، وأن يثيبه، وأن يعلي مقامه في الجنة، وأن ينفعنا بهذا الذي سمعنا آمين آمين، والحمد لله رب العالمين.



تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ